مجلة فصلية تهتم بالشأن القرآني تصدر عن
قسم الشؤون الفكرية والإعلام في العتبة الكاظمية المقدسة
العدد ٥٦/ السنة السادسة / ١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م

ق والقرآن المجيد

قال تعالى:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ
إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

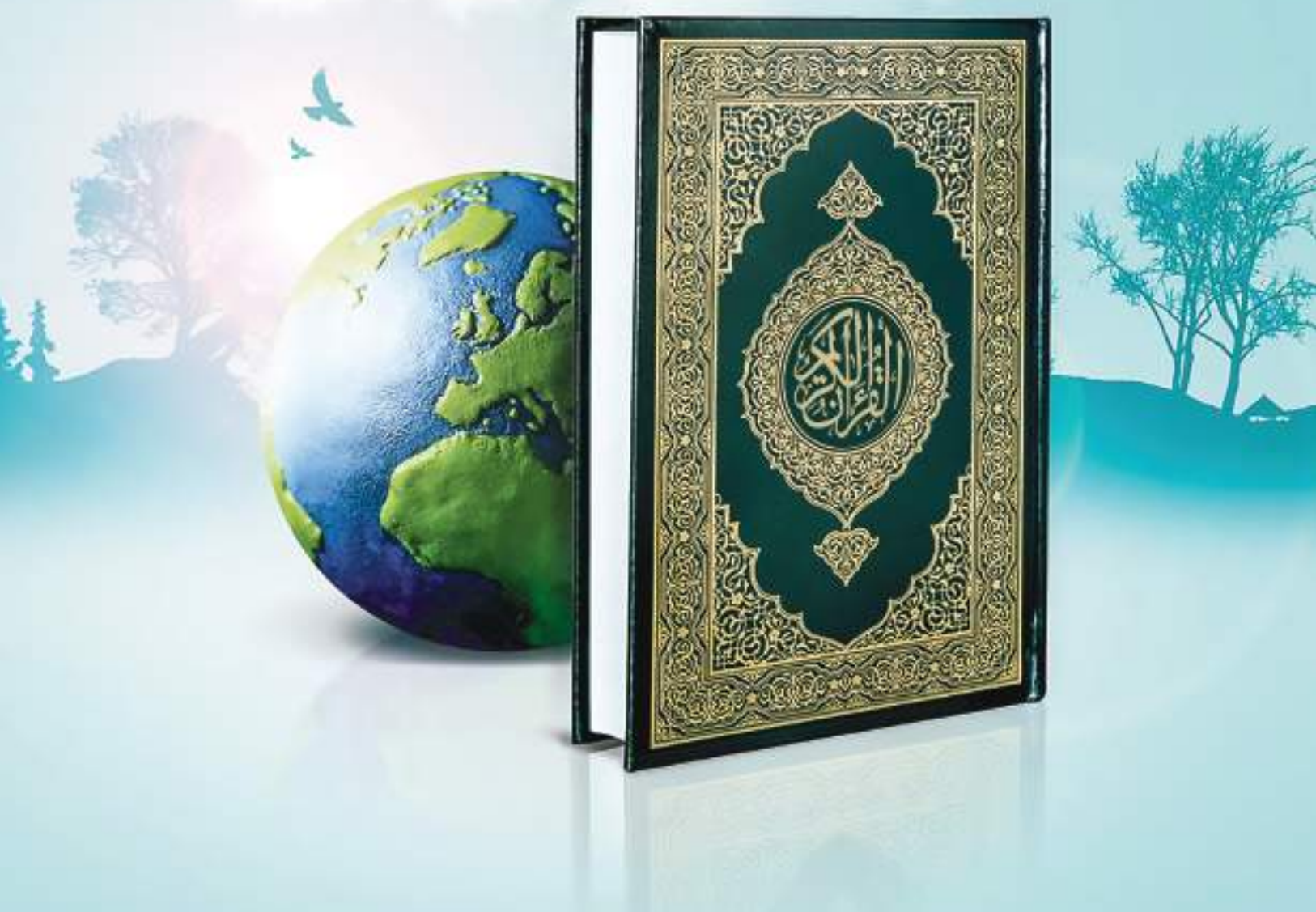

قسم الشؤون الفكرية والإعلام
العتبة الكاظمية المقدسة
مجلة فصلية تهتم بالشأن القرآني
العدد ٥٦- السنة السادسة
١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق الوطنية
ببغداد (١٨٤٧) لسنة ٢٠١٣
زورونا: www.aljawadain.org

١٢

١٦ هل تنبأ عيسى بمحمد؟
٢٢ كُلُّنا مسؤولون
٢٨ أَرْذَلُ العمـرِ في المنظور القرآني
٣٠ ظهار الزوجة (مُنكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا)
٣٤ لَنْ يَأْفَلَ نُوْرُهُ..
٣٨ صفات الحروف في العملية النطقية

رئيس التحرير
الشيخ عدي الكاظمي

سكرتير التحرير
سمير جميل الربيعي

السلامة الفكرية
والتدقيق اللغوي
الشيخ عماد الكاظمي

التصميم والإخراج الفني
عبدالله جاسم محمد

كلمة العدد

على هدي الإصلاح القرآني

حرصت مجلة ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ منذ بواكير ولادتها ودخولها في الميدان المعرفي والساحة القرآنية، على أنْ تنهج النهج نفسه الذي اعتمده القرآن في تحديد خارطة الطريق للمؤمنين وتأمين مسيرتهم الإيمانية، لا سيما وأنَّها قد ارتبطت بالقرآن وتعلقت بأهدابه، وسخّرت نفسها في خدمته بما جادت به إمكانياتها، وكان خيارها الوحيد أنْ تسير معه بخط طولي خطوة بخطوة، لا تتخلف عن التزاماته ومتبنياته، فما التزم به القرآن التزمت به هي بدورها، وجعلته ضمن آليتها المتبعة وخطوطها العريضة التي لا تتجاوزها، وإليك بعض ما اعتمدته المجلة احتذاءً بالقرآن، فمن بين ما التزمه إنه مارس دوره بكل حرفية في إخراج الناس من الظلمات إلى النور، عبر بسط سبل الهداية لهم بالإرفاق، وقلع جذور الرذائل من نفوسهم بالنصح والقول اللين ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[1]، وتحفيزهم بالتكليف الشرعي ولم يلزمهم في تكلف ما لا يستطيعوه ولم يجعل عليهم من الدين من حرج ﴿ما يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [2]، ثم أنَّ القرآن حينما أراد هداية الناس لعبادة الله الواحد الأحد وإثبات قدرته لم يذهب بعيداً في أمثاله وشواهده التي جاء بها حتى يبدد طاقاتهم العقلية ويبعثرها في أمور لا طائل منها، بحيث يجعلهم يتخبطون العشواء فيما لا يثمر ولا ينتج، وليس في هذا - لا سمح الله - حِجر على عقولهم ومصادرة لأفهامهم، بل على العكس تماماً فللقرآن وظيفة سامية وهي دعوة لإعمال العقول وتوجيهها للعمل والإبداع ولكن ضمن دائرة الإدراك وفي حدود المستطاع دون الوقوع في محاذير التكلف ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾، وما يهمه في ذلك كله هو المضي قُدماً في مشروعه الإصلاحي، مراعياً في طرحه كل عوامل الجذب الإيجابي بإسلوب متقن غاية في التناسق والانسجام من دون أي عُقد، وفوق ذلك هيأ سُبل فهمه وتبيان معانيه ليسلك في قلوب المؤمنين والمعاندين على حد سواء، فأما المؤمنون فيأنسون ويطمئنوا به لما آتاهم الله من خلاله وبسببه فضل الهداية والإيمان، وأما الكافرون فيلزمهم الحجة به ويكونوا شهداء على كفر أنفسهم، ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾، ولم يكتف القرآن بأنه جاء بإسلوب مُحْبَك وترابط متقن كما ذكرنا آنفاً، بل أنه راعى الحالة النفسية للمتلقي فنلحظ هذا جلياً في تعامله مع إنذار الناس وتحذيرهم من السقوط في شرك الضلالة وغواية الشيطان بشكل يجعلهم يتقبلون ذلك منه بسهولة ويسر.

إنّ هذه الخطوط التي رسمها القرآن،لهي أحق أنْ تتبع وتدأب على السير في إثرها مجلة ق، ومما لا شك فيه أنَّ مَنْ اتخذ القرآن مرجعاً ومصدراً ملهماً له ولمتبنياته لا بد أنْ ينجح في مشروعه الإصلاحي، وإنْ تجشمته العقبات واكتنفته الصعوبات.

١- سورة طه، الآية ٤٤.

٢- سورة المائدة، الآية ٦.

سكرتير التحرير

الإمام الجواد عليه السلام

وآثاره في تفسير القرآن الكريم

-٣-

الشيخ عماد الكاظمي

تحدثنا في الحلقة السابقة عن قوله تعالى: ﴿الَّذِيْنَ يَأْكُلُوْنَ الرِّبَا لَا يَقُوْمُوْنَ إِلَّا كَمَا يَقُوْمُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوْا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيْهَا خَالِدُوْنَ﴾[١]، وتم بيان ما يتعلق بها من جوانبها المختلفة، ونحاول في هذه الحلقة أنْ نسلط الضوء على موضوع عقائدي مهم وهو رؤية الله تعالى، وما يترتب على ذلك من موضوعات، ومحاولة دراسة الآية الكريمة بإيجاز ضمن الرواية التفسيرية للإمام محمد الجواد عليه السلام.

١- سورة البقرة: الآية ٢٧٥.

- الآية الثالثة/ قال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيْفُ الْخَبِيْرُ﴾[٢].

❖ روى أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري[٣]، قال: ((قُلْتُ لِأَبِيْ جَعْفَرٍ الثَّانِيْ [الإمام محمد الجواد] عليه السلام: قَوْلُهُ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾. قَالَ عليه السلام: يَا أَبَا هَاشِمٍ! أَوْهَامُ الْقُلُوْبِ أَدَقُّ مِنْ أَبْصَارِ الْعُيُوْنِ، أَنْتَ قَدْ تُدْرِكُ بِوَهْمِكَ السِّنْدَ وَالْهِنْدَ، وَالْبُلْدَانَ الَّتِيْ لَمْ تَدْخُلْهَا، وَلَا تُدْرِكُ بِبَصَرِكَ ذَلِكَ، فَأَوْهَامُ الْقُلُوْبِ لَا تُدْرِكُهُ، فَكَيْفَ تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ؟))[٤].

٢- سورة الأنعام: الآية ١٠٣.

٣- أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري من أهل بغداد، جليل القدر، ثقة، عظيم المنزلة عند الأئمة عليهم السلام، وقد شاهد جماعة منهم الرضا والجواد والهادي والعسكري وصاحب الأمر عليهم السلام. ينظر: معجم رجال الحديث، السيد أبو القاسم الخوئي ٨/١٢٢-١٢٤.

إنَّ الرواية التفسيرية الشريفة تبين مسألة مهمة من المسائل العقائدية التي أستعرضتها الشريعة الإسلامية المقدسة، وبينت ما يتعلق بها، فالآية المباركة في مقام بيان الرؤية لله تعالى من قبل الإنسان، وهل يمكن ذلك في الدنيا، أو الآخرة، أو فيهما معًا، أو يمتنع ذلك مطلقًا، ولأجل أنْ نكون على بينة مما ورد في الرواية

٤- الكافي، الشيخ الكليني ١/٩٩ باب (في إبطال الرؤية) الحديث ١١.

الشريفة وما تضمنته نحاول بيان موضوعات ثلاثة بإيجاز:

الأول: ما المراد بالإدراك.

الثاني: أقوال المفسرين.

الثالث: مناقشة الروايات في الرؤيا.

الأول: ما المراد بالإدراك

ورد أنَّ المراد بالإدراك معانٍ متعددة، وإنْ كان الأصل في اللغة واحد وهو الوصول والبلوغ، وإنَّ هذا الاختلاف له أثر في تفسير المراد من الآية المباركة، وهذا ما سنراه في أقوال المفسرين، فالإدراك قيل يراد به البصر، أو البصيرة، أو الإحاطة وغيرها من المعاني.

❖ قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ/١٠٠٥م): ((الدَّالُ وَالرَّاءُ وَالْكَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ لُحُوْقُ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ وَوُصُوْلُهُ إِلَيْهِ. يُقَالُ: أَدْرَكْتُ الشَّيْءَ أُدْرِكُهُ إِدْرَاكًا .... وَيُقَالُ: أَدْرَكَ الْغُلَامُ وَالْجَارِيَةُ إِذَا بَلَغَا. وَتَدَارَكَ الْقَوْمُ لَحِقَ آخِرُهُمْ أَوَّلَهُمْ))[٥].

❖ قال الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ/١١٠٨م): ((وَأَدْرَكَ بَلَغَ أَقْصَى الشَّيْءِ، وَأَدْرَكَ الصَّبِيُّ بَلَغَ غَايَةَ الصِّبَا وَذَلِكَ حِيْنَ الْبُلُوْغِ، قَالَ [تَعَالَى]: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ﴾[٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ فَمِنْهُمْ مَنْ حَمَلَ ذَلِكَ عَلَى الْبَصَرِ الَّذِيْ هُوَ الْجَارِحَةُ، وَمِنْهُمْ مَنْ حَمَلَهُ عَلَى الْبَصِيْرَةِ، وَذَكَرَ [تعالى] أَنَّهُ قَدْ نَبَّهَ، وَالتَّدَارُكُ فِي الْإِغَاثَةِ وَالنِّعْمَةِ أَكْثَرُ، نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾[٧]، وَقَوْلِهِ: ﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوْا فِيْهَا جَمِيْعًا﴾[٨] أَيْ لَحِقَ كُلٌّ بِالْآخَرِ))[٩].

إنَّ الراغب قد وسَّع المعنى اللغوي للإدراك الذي تقدم في كلمات اللغويين، وذكر المعاني التي يمكن أنْ ينصرف إليه ذلك المعنى، وأنَّ الرؤية بالبصر والبصيرة مما فسَّره المفسِّرون، ولكنَّ الله تعالى قد نبَّه بالنفي لها، فضلًا عن المعاني الأخرى التي استعملها القرآن الكريم في مواردها الخاصة.

❖ قال الشيخ الطريحي (ت١٠٨٥هـ/١٦٧٤م): ((قَوْلُهُ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ أَيْ لَا تَرَاهُ الْعُيُوْنُ؛ لِأَنَّ الْإِدْرَاكَ مَتَى قُرِنَ بِالْبَصَرِ لَمْ يُفْهَمْ مِنْهُ إِلَّا الرُّؤْيَةُ، كَمَا أَنَّهُ إِذَا قُرِنَ بِآلَةِ السَّمْعِ فَقِيْلَ: أَدْرَكْتُهُ بِأُذُنِيْ لَمْ يُفْهَمْ مِنْهُ إِلَّا السَّمَاعُ، وَكَذَا إِذَا أُضِيْفَ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْحَوَاسِ أَفَادَ مَا بِتِلْكَ الْحَاسَّةِ آلَتَهُ، مِثْلُ أَدْرَكْتُهُ بِفَمِيْ أَيْ وَجَدْتُ طَعْمَهُ، وَأَدْرَكْتُهُ بِأَنْفِيْ أَيْ وَجَدْتُ رَائِحَتَهُ، وَالْمَعْنَى لَا تُدْرِكُهُ ذُوْ الْأَبْصَارِ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ أَيْ الْمُبْصِرِيْنَ، وَيُقَالُ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ أَيْ الْأَوْهَامُ))[١٠].

إنَّ الشيخ الطريحي أراد بيان أهمية القرينة في فهم المراد من الألفاظ التي لها معانٍ مشتركة، وقد أكَّد على إمكانية انصراف معنى الإدراك إلى معانٍ متعددة إنما تُفهم من خلال القرينة، والإدراك من هذه المعاني، ووجود لفظ (البصر) دلالة على أنَّ المراد هي الرؤية البصرية من دون غيرها من المعاني، كما ورد في الأمثلة المتعددة.

على أساس ما تقدم وغيره من كلمات العلماء يمكن القول بأنَّ الإدراك إنْ أُريد به الرؤية المادية (البصر)، أو الرؤية المعنوية (البصيرة) فيما يتعلق بالله تعالى فهذا الوصول لا يتحقق مطلقًا؛ لأنَّ الأول ممتنع عنه سبحانه كما سيأتي، والثاني لا يمكن للمحدود (الإنسان) أنْ يصل إلى إدراك المطلق (الله)، فالآية تنفيهما معًا.

الثاني: أقوال المفسرين

إنَّ المفسرين قد ذكروا فيما يتعلق بالآية المباركة أقوال متعددة، نذكر منها:

❖ قال الطبري (ت٣١٠هـ/٩٩٢م): ((اخْتُلِفَ أَهْلُ التَّأْوِيْلِ فَقَالَ بَعْضَهُمْ، مَعْنَاهُ لَا تُحِيْطُ بِهِ الْأَبْصَارُ، وَهُوَ يُحِيْطُ بِهَا، حَدَّثَنِيْ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾، يَقُوْلُ: لَا يُحِيْطُ بَصَرُ أَحَدٍ بِالْمَلِكِ. حَدَّثَنَا بِشْرٌ قَالَ عَنْ قَتَادَةَ قَوْلُهُ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾، وَهُوَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ تُدْرِكَهُ الْأَبْصَارُ.

وَاعْتَلَّ قَائِلُوْ هَذِهِ الْمَقَالَةِ لِقَوْلِهِمْ هَذَا، بِأَنْ قَالُوْا: إِنَّ اللهَ قَالَ: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ﴾ قَالُوْا: فَوَصَفَ اللهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ الْغَرَقَ بِأَنَّهُ أَدْرَكَ فِرْعَوْنَ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْغَرَقَ غَيْرُ مَوْصُوْفٍ بِأَنَّهُ رَآهُ، وَلَا هُوَ مِمَّا يَجُوْزُ وَصْفُهُ بِأَنَّهُ يَرَى شَيْئًا، قَالُوْا: فَمَعْنَى قَوْلُهُ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ بِمَعْنَى: لَا تَرَاهُ))[١١].

إنَّ هذا الحديث وغيره أحد أقوال الصحابة في بيان المراد من الإدراك هو (الرؤيا) في الآية المباركة خاصة، ولكن الطبري لم يوافق هذا الرأي وقال بأنه (بعيد)، واستشهد بآيات أخرى تخالف ذلك، ثم انتقل بعد ذلك لبيان الرأي الثاني القائل أنَّ المراد بالإدراك هو الإحاطة مع إمكانية الرؤية لله تعالى بالبصر من دون الإحاطة به، فمعنى ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ أي لا تحيط به، وهذا أيضًا لم يقبل به استنادًا لروايات وردت في إمكانية رؤيته، وذكر آراء أخرى مع بيان أدلتها، ثم ذكر الرأي الذي يذهب هو إليه ويؤيده، حيث قال: ((وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِيْ ذَلِكَ عِنْدَنَا، مَا تَظَاهَرَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَكَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ لَيْسَ دُوْنَهَا سَحَابٌ))، فَالْمُؤْمِنُوْنَ يَرَوْنَهُ، وَالْكَافِرُوْنَ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ مَحْجُوْبُوْنَ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوْبُوْنَ﴾[١٢]))[١٣].

❖ قال الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٨م): ((فِيْ هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى لَا يُرَى بِالْأَبْصَارِ؛ لِأَنَّهُ تَمَدَّحَ بِنَفْيِ الْإِدْرَاكِ عَنْ نَفْسِهِ، وَكُلَّمَا كَانَ نَفْيُهُ مَدْحًا غَيْرَ مُتَفَضِّلٍ بِهِ فَإِثْبَاتُهُ لَا يَكُوْنُ إِلَّا نَقْصًا, وَالنَّقْصُ لَا يَلِيْقُ بِهِ تَعَالَى, فَإِذَا ثَبَتَ أَنَّهُ لَا يَجُوْزُ إِدْرَاكُهُ، وَلَا رُؤْيَتُهُ، وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ تَحْتَاجُ إِلَى بَيَانِ أَشْيَاءَ أَحَدُهَا: إِنَّهُ تَعَالَى تَمَدَّحَ بِالْآيَةِ. وَالثَّانِي: إِنَّ الْإِدْرَاكَ هُوَ الرُّؤْيَةُ. وَالثَّالِثُ: إِنَّ كُلَّمَا كَانَ نَفْيُهُ مَدْحًا لَا يَكُوْنُ إِثْبَاتُهُ إِلَّا نَقْصًا.

وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى تَمَدُّحِهِ شَيْئَانِ: أَحَدُهُمَا: إِجْمَاعُ الْأُمَّةِ، فَإِنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَهُمْ فِي أَنَّهُ تَعَالَى تَمَدَّحَ بِهَذِهِ الْآيَةِ, فَقُلْنَا: تَمَدَّحَ بِنَفْيِ الْإِدْرَاكِ عَنْ نَفْسِهِ لِاسْتِحَالَتِهِ عَلَيْهِ. وَقَالَ الْمُخَالِفُ: تَمَدَّحَ لِأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى مَنْعِ الْأَبْصَارِ مِنْ رُؤْيَتِهِ، فَالْإِجْمَاعُ حَاصِلٌ عَلَى أَنَّ فِيْهَا مِدْحَةً. وَالثَّانِي: إِنَّ جَمِيْعَ الْأَوْصَافِ الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ وَبَعْدَهَا مِدْحَةٌ، فَلَا يَجُوْزُ أَنْ يَتَخَلَّلَ ذَلِكَ مَا لَيْسَ بِمِدْحَةٍ))[١٤].

إنَّ هذا القول من الشيخ الطوسي (قدس سره) في إثبات نفي الرؤية عن الله تعالى قائم على أمرين مهمين، الأول ما له علاقة بالعقيدة الإسلامية في نفي صفات السلب عنه تعالى، والرؤيا كما هو مورده من صفات السلب، سواء أكانت في الدنيا أم الآخرة فإنها تدل على حَدِّهِ تعالى وتجسيمه، وهذا مما لا يليق بالخالق عز وجل، والآخر ما له علاقة بالبحث القرآني في معرفة المراد من النص ضمن السياق العام، من دون القطع بينه، فالسياق العام للآية المباركة في تأكيد تنزيهه تعالى عمَّا يؤمن به المشركون، حيث الإيمان بالمادة وحدودها وقيوده، فكان نفي الرؤية هي إحدى الصفات التي تخللت ذلك النص، فنفى الشريك، والصاحبة، والولد وغيرها، وإثبات القدرة الإلهية المطلقة، وإبداعه في الخلق، وآياته المختلفة التي تدل على عظمته وغير ذلك، لذا قال: ((إِنَّ جَمِيْعَ الْأَوْصَافِ الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ وَبَعْدَهَا مِدْحَةٌ))، وهذا ما سنراه جليًّا في كلام السيد الطباطبائي (قدس سره).

٥- معجم مقاييس اللغة مادة (درك).

٦- سورة يونس: الآية ٩٠.

٧- سورة القلم: الآية ٤٩.

٨- سورة الأعراف: الآية ٣٨.

٩- مفردات غريب القرآن ص٣١١-٣١٢ (درك).

١٠- مجمع البحرين ٣/٢٢٣.

١١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٢/١٣-١٤.

١٢- سورة المطففين: الآية ١٥.

١٣- جامع البيان ١٢/٢٠.

١٤- التبيان في تفسير القرآن ٤/٢٢٣.

❖ قال الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ/١١٥٣م): ((فِيْ هَذِهِ الْآيَةِ مَسَائِلُ: الْمَسْأَلَةُ الْأُوْلَى: احْتَجَّ أَصْحَابُنَا بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى تَجُوْزُ رُؤْيَتُهُ، وَالْمُؤْمِنُوْنَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ وُجُوْهٍ , الْأَوَّلُ: فِيْ تَقْرِيْرِ هَذَا الْمَطْلُوْبِ أَنْ نُقُوْلَ: هَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى تَجُوْزُ رُؤْيَتُهُ. وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا وَجَبَ الْقَطْعُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِيْنَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

أَمَّا الْمَقَامُ الْأَوَّلُ: فَتَقْرِيْرُهُ: أَنَّهُ تَعَالَى تَمَدَّحَ بِقَوْلِهِ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ وَذَلِكَ مِمَّا يُسَاعِدُ الْخَصْمَ عَلَيْهِ, وَعَلَيْهِ بَنَوْا اسْتِدْلَالَهُمْ فِي إِثْبَاتِ مَذْهَبِهِمْ فِيْ نَفْيِ الرُّؤْيَةِ، وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا فَنَقُوْلُ: لَوْ لَمْ يَكُنْ تَعَالَى جَائِزُ الرُّؤْيَةِ لَمَا حَصَلَ التَّمَدُّحُ بِقَوْلِهِ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ أَلَا تَرَى أَنَّ الْمَعْدُوْمَ لَا تَصِحُّ رُؤْيَتُهُ، وَالْعُلُوْمَ وَالْقُدْرَةَ وَالْإِرَادَةَ وَالرَّوَائِحَ وَالطُّعُوْمَ لَا يَصِحُّ رُؤْيَةَ شَيْءٍ مِنْهَا, وَلَا مَدْحَ لِشَيْءٍ مِنْهَا فِيْ كَوْنِهَا بِحَيْثُ لَا تَصِحُّ رُؤْيَتَهَا))[١٥].

إنَّ هذا الاستدلال العقلي من الفخر الرازي -على عمقه- لا يخلو من ضعف أو إشكال، فإنْ كان المدح دلالة على الوجود كما في الإدراك وإمكانية رؤيته تعالى، وأنَّ مدح المعدوم لا يصحُّ أو يعدُّ لغوًا، كما ذكر ذلك في (العلم والقدرة والإرادة والروائح والطعوم)، فنقول: ما رأيه في نفي الله تعالى صفات متعددة في السياق القرآني للآية المباركة مثل (نفي الشريك له تعالى، ونفي الصاحبة والولد له، وإثبات خلق كل شيء) فهل هذه الموضوعات وغيرها في الآيات السابقة لآية الإدراك لا تدل على المِدحة له تعالى؟!

فالآيات ظاهرة جلية في الدلالة على مدحه وتنزيهه عمَّا لا يليق به، فهل يعني ذلك أنَّ نفيه يدل على وقوعها لأنه بصدد المدح، والمدح لا يكون إلى في الواقع من دون المعدوم!! فإنَّ هذه المذكورات لا يمكن أنْ تدركها القلوب والأوهام على قدرتها الكبيرة فضلاً عن العين بقدرتها البسيطة المحدودة!! وهذا عين ما أشارت إليه الرواية التفسيرية للإمام محمد الجواد ﷺ لو تأملنا فيها بدقة.

فالآية من حيث هي ضمن السياق القرآني تدل على عدم إمكانية الرؤية، بل استحالة ذلك، ويجب على المفسِّر المنصف المتجرِّد أنْ لا يقوم بمطاوعة النص على وفق ما يؤمن هو به مُسبَقًا، فالقرآن ذو رؤية واضحة دقيقة، فضلاً عن تواتره التام، بخلاف الروايات، ومنها الواردة في بيان رؤيته والمتضاربة فيما بينها كما سيأتي.

٤- قال السيد الطباطبائي (ت١٤٠٣هـ/١٩٨٢م): ((وَأَمَّا قَوْلُهُ ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ فَهُوَ لِدَفْعِ الدَّخَلِ الَّذِي يُوهِمُهُ قَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ بِحَسَبِ مَا تَتَلَقَّاهُ أَفْهَامُ الْمُشْرِكِيْنَ السَّاذِجَةُ وَالْخِطَابُ مَعَهُمْ، وَهُوَ أَنَّهُ إِذَا صَارَ وَكِيْلًا عَلَيْهِمْ كَانَ أَمْرًا جِسْمَانِيًّا كَسَائِرِ الْجِسْمَانِيَّاتِ الَّتِيْ تَتَصَدَّى الْأَعْمَالُ الْجِسْمَانِيَّةُ، فَدَفَعَهُ بِأَنَّهُ تَعَالَى ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ لِتَعَالِيْهِ عَنِ الْجِسْمِيَّةِ وَلَوَازِمِهَا، وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ دَفْعٌ لِمَا يَسْبِقُ إِلَى أَذْهَانِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِيْنَ الَّذِيْنَ اعْتَادُوْا بِالتَّفَكُّرِ الْمَادِّيِّ، وَأُخْلِدُوْا إِلَى الْحِسِّ وَالْمَحْسُوْسِ، وَهُوَ أَنَّهُ تَعَالَى إِذَا ارْتَفَعَ عَنْ تَعَلُّقِ الْأَبْصَارِ بِهِ خَرَجَ عَنْ حِيْطَةِ الْحِسِّ وَالْمَحْسُوْسِ، وَبَطُلَ نَوْعُ الِاتِّصَالِ الْوُجُوْدِيِّ الَّذِيْ هُوَ مَنَاطُ الشُّعُوْرِ وَالْعِلْمِ, وَانْقَطَعَ عَنْ مَخْلُوْقَاتِهِ فَلَا يَعْلَمُ بِشَيْءٍ، كَمَا لَا يَعْلَمُ بِهِ شَيْءٌ، وَلَا يَبْصُرُ شَيْئًا، كَمَا لَا يَبْصُرُهُ شَيْءٌ، فَأَجَابَ تَعَالَى عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ ثُمَّ عَلَّلَ هَذِهِ الدَّعْوَى بِقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ اللَّطِيْفُ الْخَبِيْرُ﴾))[١٦].

إنَّ كلام السيد الطباطبائي (قدس سره) يدلُّ على مقامه ومنزلته العلمية في التعامل مع النص القرآني لبيان تفسيره وتأويله، وخصوصًا ما يتعلق بالآيات العقائدية، أو الآيات المتضمنة المتشابهات، مثل هذه الآية الكريمة موضوع البحث، فالسيد أكَّد على أنَّ القرآن الكريم كان دقيقًا في بيان العقيدة، مع مراعاة ما كان المشركون أو الكفار يؤمنون به، أو يَدَّعونه، فلمَّا كانت علاقتهم بصورة عامة مع الآلهة التي يعبدونها قد صَوَّروا لها تجسيمات، وكان يعتقدون بوجودها وحضورها في الواقع بالتأثير على الإنسان وما يدور حوله، وقد ردَّ الله تعالى تلك العقائد الفاسدة في كثير من الآيات، والآية المباركة في سياق آيات متعددة تدل على عظمته ووحدانيته، وتنزيهه عمَّا لا يليق به، وقد أبدع السيد الطباطبائي بقوله ((وَهُوَ أَنَّهُ إِذَا صَارَ وَكِيْلًا عَلَيْهِمْ كَانَ أَمْرًا جِسْمَانِيًّا كَسَائِرِ الْجِسْمَانِيَّاتِ الَّتِيْ تَتَصَدَّى الْأَعْمَالُ الْجِسْمَانِيَّةُ، فَدَفَعَهُ بِأَنَّهُ تَعَالَى ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ لِتَعَالِيْهِ عَنِ الْجِسْمِيَّةِ وَلَوَازِمِهَا))، وأظن أنَّ ما ذكره السيد الطباطبائي في بيان ما يتعلق بالآية يعد من أدق الكلام وأهمه، ويحتاج إلى دقة وتأمل في كلامه.

هذا ما حاولت بيانه بإيجاز حول الآية المباركة التي ذكر الإمام الجواد ﷺ تفسيرها، وقد ناقش علماء الكلام ما يتعلق بذلك بتفصيل، وأثبتوا امتناع رؤيته سبحانه[١٧].

١٥- التفسير الكبير ١٣/٩٧-٩٨.

١٦- الميزان في تفسير القرآن ٧/٣٠١-٣٠٢.

١٧- ينظر: مناهج اليقين في أصول الدين، العلامة الحلي ص٢٠٩-٢١٢، حق اليقين في معرفة أصول الدين، السيد عبد الله شبر ١/٣٩-٤٠، الإلهيات، الشيخ حسن محمد مكي العاملي ٢/١٢٥-١٤٠.

الثالث: مناقشة الروايات الواردة في الرؤيا

لقد وردت روايات متعددة في كتب الفريقين تتعلق برؤية الله تعالى، فالروايات الواردة عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام كثيرة تؤكّد امتناع ذلك، فضلاً عن روايات العامة التي أوردوها في إمكانية رؤيته يوم القيامة، ونحاول بإيجاز بيان بعض تلك الروايات إتمامًا للبحث.

❖ عن عاصم بن حميد, عَنْ أَبِيْ عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: ((ذَاكَرْتَ أَبَا عَبْدِ اللهِ "عَلَيْهِ السَّلَامُ" فِيْمَا يَرْوُوْنَ مِنَ الرُّؤْيَةِ فَقَالَ: الشَّمْسُ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِيْنَ جُزْءً مِنْ نُوْرِ الْكُرْسِيِّ، وَالْكُرْسِيُّ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِيْنَ جُزْءً مِنْ نُوْرِ الْعَرْشِ، وَالْعَرْشُ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءً مِنْ نُوْرِ الْحِجَابِ، وَالْحِجَابُ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءً مِنْ نُوْرِ السِّتْرِ، فَإِنْ كَانُوْا صَادِقِيْنَ فَلْيَمْلَؤُوْا أَعْيُنَهُمْ مِنَ الشَّمْسِ لَيْسَ دُوْنَهَا سَحَابٌ))[18].

❖ عن أحمد بن إسحاق, قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى أَبِيْ الْحَسَنِ الثَّالِثِ [الإمام الهادي] عليه السلام أَسْأَلُهُ عَنِ الرُّؤْيَةِ وَمَا فِيْهِ النَّاسُ فَكَتَبَ عليه السلام: ((لَا يَجُوْزُ الرُّؤْيَةُ مَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الرَّائِيْ وَالْمَرْئِيِّ هَوَاءٌ يَنْفُذُهُ الْبَصَرُ, فَإِذَا انْقَطَعَ الْهَوَاءُ وَعَدَمَ الضِّيَاءِ بَيْنَ الرَّائِيْ وَالْمَرْئِيِّ لَمْ تَصُحْ الرُّؤْيَةُ وَكَانَ فِيْ ذَلِكَ الاشْتِبَاهُ؛ لِأَنَّ الرَّائِيَّ مَتَى سَاوَى الْمَرْئِيَّ فِيْ السَّبَبِ الْمُوْجِبِ بَيْنَهُمَا فِيْ الرُّؤْيَةِ وَجَبَ الاشْتِبَاهُ وَكَانَ فِيْ ذَلِكَ التَّشْبِيْهُ؛ لِأَنَّ الْأَسْبَابَ لَا بُدَّ مِنِ اتِّصَالِهَا بِالْمُسَبَّبَاتِ))[19].

فالروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام في نفي الرؤيا، وأنَّ الإدراك في الآية ينفي رؤيته تعالى، ومما ورد عن الشيخ محمد صالح المازندراني (١٠٨١هـ/١٦٧٠م) في شرحه لأحاديث الرؤيا: ((إِنَّ اعْتِبَارَ الْمُشَابَهَةِ بَيْنَهُمَا يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ الْمَذْكُوْرَ؛ لِأَنَّهَا سَبَبٌ لَهُ، وَالسَّبَبُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُوْنَ مُتَّصِلًا بِالْمُسَبَّبِ، غَيْرَ مُنْفَكٍّ عَنْهُ، وَأَنْ يَكُوْنَ تَعْلِيلًا لِجَمِيْعِ مَا ذُكِرَ فِيْ هَذَا الدَّلِيْلِ، تَوْضِيْحُهُ أَنَّ الْهَوَاءَ الْمُتَوَسِّطَ سَبَبٌ لِلرُّؤْيَةِ، وَلِكَوْنِ هَذَا رَائِيًا مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ رَاءٍ وَذَاكَ مَرْئِيٌّ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ مَرْئِيٌّ، فَوَجَبَ اتِّصَالُهُ بِهِمَا وَاتِّصَالُهُ بِهِمَا سَبَبٌ لِكَوْنِ كُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَاقِعًا فِيْ حَيِّزٍ، وَفِيْ طَرَفٍ مِنْهُ، وَمَوْصُوْفًا بِالْجِسْمِيَّةِ وَلَوَاحِقِهَا فَوَجَبَ اتِّصَالُ هَذَا الاتِّصَالِ بِكَوْنِهِمَا عَلَى هَذِهِ الْأَوْصَافِ, وَكَوْنُهُمَا عَلَى هَذِهِ الْأَوْصَافِ سَبَبٌ لِوُقُوْعِ الْمُشَابَهَةِ بَيْنَهُمَا، فَوَجَبَ أَنْ يَتَّصِلَ بِهِ، وَتِلْكَ الْمُشَابَهَةُ سَبَبٌ لِلتَّشْبِيهِ))[20].

ومما ورد من روايات العامة في أنَّ الله يُرى يوم القيامة:

❖ عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وآله قال: ((إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُوْلُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيْدُوْنَ شَيْئًا أَزِيْدُكُمْ؟ فَيَقُوْلُوْنَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوْهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ, وَتُنْجِنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطَوْا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ))[21].

❖ عن عطاء بن يزيد الليثي أنَّ أبا هريرة أخبره أنَّ ناسًا قالوا لرسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله: ((يَا رَسُوْلَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ صلى الله عليه وآله هَلْ تُضَارُّوْنَ فِيْ رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟ قَالُوْا: لَا يَا رَسُوْلَ اللهِ .... فَيَأْتِيْهِمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيْ صُوْرَةٍ غَيْرِ صُوْرَتِهِ الَّتِيْ يَعْرِفُوْنَ، فَيَقُوْلُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُوْلُوْنَ: نَعُوْذُ بِاللهِ مِنْكَ هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَعَالَى فِيْ صُوْرَتِهِ الَّتِيْ يَعْرِفُوْنَ، فَيَقُوْلُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُوْلُوْنَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَتْبَعُوْنَهُ وَيَضْرِبُ الصِّرَاطَ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ فَأَكُوْنُ أَنَا وَأُمَّتِيْ أَوَّلَ مَنْ يُجِيْزُ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ ....))[22].

وغير ذلك من الروايات التي تدل على تجسيم الله، تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وقال الأشعري (ت٣٢٤هـ/٩٣٩م) تعقيبًا على عقيدة رؤيته سبحانه عند العامة: ((ونَدِينُ بأَنَّ اللهَ يُرى في الآخرةِ بالأبصارِ كما يُرَى القَمَرُ لَيْلَةَ البَدْرِ، يَراهُ المؤمنونَ كما جاءَتْ الرواياتُ عن رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله))[23]، فضلًا عمَّا تقدم من كلام الفخر الرازي وغيره.

هذا ما حاولت بيانه لأقوال المفسرين والعلماء في الآية المباركة، وآراء علماء المسلمين في مسألة عقائدية مهمة (رؤية الله) لها علاقة بأصل العقيدة وهو التوحيد، وعظمة الموضوعات المتعلقة بها، وتأكيد القرآن الكريم عليها بالنفي والتنزيه لله تعالى، كما ورد ذلك في الرواية التفسيرية الشريفة، وهذا يؤكّد وحدة منهج الثقلين في بيان أحكام الشريعة المقدسة أصولًا وفروعًا.. وإلى لقاء قادم.

١٨- الكافي ١/٧٨ باب (في إبطال الرؤية) الحديث ٧.

١٩- التوحيد، الشيخ الصدوق ص٦٥.

٢٠- شرح أصول الكافي ج٣ ص٢٣٣-٢٣٤.

٢١- أبو الحسين مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح ١/١١٢.

٢٢- المصدر نفسه ١/١١٣.

٢٣- أبو الحسن علي بن إسماعيل، الإبانة عن أصول الديانة: ٢٦.

فلربما المنع هو عين العطاء

سمير جميل الربيعي

قد تصدر بعض الخواطر من لدن النفس الصافية في آية أو بعض آية من القرآن الكريم، لتبدو وكأنَّها تفسير، وما ندَّعي أنَّها تفسير، ولكنها قذفات نورانية يقذفها الله فيمن يصطفي، أو هبات صفائية تخطر على قلب المؤمن، فتنقدح فيه ومضات تكشف من وراء ستر الغيب شيء من غرائب أسرار القرآن، وعادة ما تحصل مثل هذه الحالات في اللحظات الفريدة من لحظات الصفاء التي تعيشها النفس مع الله

وما ألقي في الروع هنا في هذا المقال، هو لماذا القرآن الكريم حينما يتكلم عما يتعلق بكونيات الوجود، لا يصرح بأسراره حول ذلك الوجود، بل يكتفي بالتلميح ومجرد الإشارة، كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[1] أو قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]، فالقرآن لم يتطرق إلى الحقائق العلمية المتعلقة بطبيعة الخلق والكيفية التي خلق بها، والمتوقع من جواب هذا السؤال هو أنَّ القرآن أول ما نزل نزل في بيئة بدائية متخلفة - ولو فيما يتعلق بالكون وأسراره - فلو أنَّ القرآن صرح بالحقائق الكونية أو انبرى الرسول الكريم لتفسيرها، لأصبح القرآن مجرد حديث كذبٍ أو كلام جنان وتخريف، إذ أنَّ العقول وقتها قد لا تتقبل ما يحمله من حقائق، فهي لا تحيط بها علماً فبدل من أنْ يصبح القرآن أداة جذب يصبح أداة تنفير، مثلما لو جاء إنسان أقوام من الناس سبق وجودهم صنع الطائرات وأخبرهم بأنَّ كتلة من الحديد على هيأة معينة يبلغ وزنها

١- سورة الأنبياء، الآية ٤٤.

٢- سورة فاطر، الآية ١.

عشرات الأطنان تطير في السماء بجناحين مثل الطيور، لعُد هذا الرجل كاذباً أو مجنوناً، لأنَّ العقول بطبعها لا تنصرف إلا إلى ما تتعقله، وهذا الكلام جميل وهو جزء من الحقيقة، إلا أنَّه ليس كُلَّ الحقيقة، فليس كُلَّ الذين كانوا حول رسول الله ﷺ لا تتسع مداركهم للحقائق العلمية الموجودة في القرآن، بدليل أنَّ رسول الله ﷺ، قد علَّم بعض خاصته أسرار القرآن فيما يخص أسرار الوجود، وخاصة مَنْ وجد فيهم استشرافاً للفهم، بينما اكتفى ببيان الأحكام التكليفية المستنبطة من القرآن للناس على قدر احتياجهم من البيان، وترك القرآن يكتنز أسراره إلى اليوم الذي تتفتح فيه البصائر، ويتسع العلم لإدراك ما يتعلق بأسرار الوجود، ولعل أسباب ودواعي اكتناز القرآن لأسراره كثيرة، فالسبب الأول أنَّ العقول البسيطة التي لم ترتض المسائل المعقدة، ولم تعتد تعقل الأمور الخارجة عن الحس، لا يمكنها أنْ تدرك ولو إجمالاً الحوادث الكونية وارتباطها المنطقي بالقوانين فوق الطبيعة، أو نسبتها إلى الله سبحانه وتعالى، فيصبح الأمر جدُ حساس بالتعامل مع هكذا أناس؛ لذا احتفظ القرآن بأسراره إلى أنْ تجيء العقول الجادة ذوات الاستعداد لفهم سر القرآن، كونها حامت حوله بحركة الحياة، عندها يكون عطاء القرآن لسره عطاءً سخياً، والزمن هو الكفيل في تفسير الخفي من القرآن.

أما ثاني الأسباب فإنَّ القرآن يعطي لكُلّ عصر مؤونته المعرفية من الحقائق، بما يسد حاجته بلحاظ مدى استعداده لتقبل وهضم تلك الحقائق، فمثلاً في عصر نزول القرآن كان البيان منتهى اهتمام العرب حتى بلغوا به كمالات الفصاحة والنظم والبلاغة، وحتى قيل إنَّهم كانوا يعبدون بيانهم أكثر مما يعبدون أصنامهم، فلما جاءهم القرآن وحَلَّ في ناديهم أُخِذوا بسحر بيانه، وإيجاز عباراته، ولطف إشاراته، وبداعة أساليبه، وبراعة تراكيبه، ما أجبر قائلهم ليقول: (الله إنَّ له لحلاوة وإنَّ عليه لطلاوة، وإنَّ أعلاه لمثمر وإنَّ أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر)[٣]، فعجزوا عن معارضته ومناجزته مع حرصهم على مثالبته، لأنَّهم لم يجدوا السبيل إلى ذلك، لا لعجزهم في اللغة وعدم معرفتهم بطرقها ومسالكها، ولكنهم وجدوه معجزاً خارقاً للعادة في كل جهاته، فتعذر عليهم معارضته عندما طلبهم للتحدي، ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٤]، ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٥]، ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٦]، ولا يقول أحد إنَّهم أعدموا المحاولة فقد تألبوا وتحزبوا وتناصروا لا سيما عند نزول هذه الآية: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٧]، التي أثارت حفيظتهم فحاولوا أنْ يأتوا بمثلها أو ما يقاربها، وغاية ما جاؤوا به قولهم: (القتل أنفى للقتل)[٨] وهي كلمة كسيحة إذا ما قورنت بهذه الآية الكريمة باعترافهم، فلا وجه للمقارنة بينهما إذ لا يقاس الثرى بالثريا، والحصباء بالجوزاء، ولما كان كذلك طغى الأسلوب القرآني بنُظُمه الغريبة، وتآليفه العجيبة على أسلوبهم، وغلبت فصاحته فصاحتهم، فرأوا أنْ لا مناص من التسليم له ولإعجازه، فأيُّ منصف فيهم يدرك جيداً لدى قراءته له أنَّه فوق نتاجات عقول البشر، ولا يمكن أن يصدر من إنسان مهما كان؛ لذا اتخذوه مصدراً ومرجعاً للغتهم، من حيث يشعرون أو لا يشعرون، انقياداً للعامل النفسي الحاكم بولع وانقياد المغلوب للغالب.

لقد أثرى القرآن الكريم ببيانه لغتهم، وجاءهم بمفاهيم جديدة لا عهد لهم بها، ولا تتسع لها لغتهم، على رغم بلوغهم بها ذروة الكمال والسعة ووفرة الألفاظ .

إنَّ القرآن قد أعطى المؤونة البيانية للغة العربية، وأودع فيها المفاهيم القرآنية وهذا ما زاد في دائرة اتساعها وزاد في حركتها التطورية فيما بعد.

ويمشي القرآن مع إعجازه وإبداعه الحاضر والمتجدد لينثر مؤونته على كُلِّ العصور التي يمر عليها، فلم يكتف بالإعجاز البياني الذي أفاضه على العصر الأول، بل تعدى في العصور التي تلته إلى إظهار بعض أسرار الوجود عندما وجد القابل منها مهيأ لاستقبال ثقل هذه الأسرار، بما يتناسب مع ما يعيه كُلُّ عصر من تلك العصور، وقد يرد هنا إشكال لقول القائل أليس في حرمان العصور الأولى من معرفة أسرار القرآن في خصوص أسرار الوجود ظلم وتعسف؟ فكيف يتصور العدل بمنح العصور المتأخرة طاقة استيعاب أسرار الوجود من خلال معرفة أسرار القرآن من دون العصور الأولى؟ ألا ترون أنَّ هذا المنح هو منح غير متكافئ؟ ويأتي الجواب على شقين، الأول: إنَّ هذا السؤال يدور مدار الشبهة، والشبهة متأتية من مفصلة دقيقة وخفية جداً خلطت بين القولين وجعلت أحدهما مكان الآخر، هل أنَّ القرآن هو الذي لم يمنحهم أسراره، أم أنَّ استعدادهم لتقبل أسرار القرآن لم ينضج بعد، والجواب بلا شك هو أننا لا يمكن أنْ نتصور القرآن من دون سخائه المعهود، فالقرآن دائم العطاء ولكُلِّ العصور، ولكن العصور الأولى لم تكن مستعدة لتقبل ذلك العطاء، حالها حال الوليد الذي يكتفي برضاع حليب أمه ويصلح بذلك بدنه، فلا يقال إنَّ من الظلم أنْ لا يمنح الوليد الطعام المتنوع الذي يعطى للكبار، فالعلم والتجربة تقضي بأنَّ الوليد لا يحتمل هذا الطعام، وأنَّ معدته ليست لها القدرة على هضمه ولربما كان سبباً في هلاكه، والحال سواء فإنَّ القرآن أعطى تلك العصور ما يلائمها ويصلح شأنها، ولو زاد لكان فيه ضلالها وبالتالي هلاكها، ثم مَنْ قال إنَّ الاستفادة من الشيء متوقفة على معرفة كنه ذلك الشيء، فالإنسان كان ولا يزال يزرع الأرض فهل نقول إنَّ عليه أنْ يعرف ماهية التربة التي يزرعها، وتركيبة الماء المكونة من ذرتين من الهيدروجين وذرة من الأوكسجين حتى تتسنى له زراعة ناجحة، كلا يكفي من الأمر أنْ يعرف كيف يحرث التربة، وينثر البذور، ويسقي الأرض، ويتوكل على الله، أما الشق الثاني من الجواب فهو لو أنَّ رسول الله ﷺ أباح كُلَّ ما في القرآن من أسرار الوجود وفسره في وقته، لجمد القرآن على عهده؛ لأنَّ مَنْ مِنَّا سوف يبحث في القرآن، ويجرؤ على تفسيره بعد أنْ فسَّره رسول الله ﷺ، فتأتي المعطيات الجديدة فلا نجد لها عطاءً من القرآن، إذاً فامتناع رسول الله ﷺ عن تفسير بعض ما جاء في القرآن هو عين التفسير؛ لأنه منح الذين يأتون من بعده شفافية أكبر وحرية في استنباط أسرار القرآن ومكنوناته، عند استعداد العقول لتقبل تلك الأسرار والاستفادة منها، وهذا بدوره يفسر لنا وجود الأئمة من بعد رسول الله ﷺ، وكيف أنَّ وظيفتهم تكمن في إحداث الحركة التطورية للمجتمعات باتجاه استيعاب مفاهيم القرآن الكريم ومحاولة تفسيرها وتطبيقها، لذا نفهم من المنع في بعض الحالات هو عين العطاء.

٣- مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج١ ص٤٩.

٤- سورة البقرة، الآية ٢٣.

٥- سورة يونس، الآية ٣٨.

٦- سورة هود، الآية ١٣.

٧- سورة البقرة، الآية ١٧٩.

٨- المهذب البارع، ابن فهد الحلي، ج٥ ص١٣٦.

وفد العتبة الكاظمية
يلبّي دعوة لحضور المؤتمر الدولي الخامس عشر
في العتبة الرضوية المقدسة

لبّى وفد العتبة الكاظمية المقدسة دعوةً لحضور المؤتمر الدولي الخامس عشر للمرأة الذي أقامته العتبة الرضوية المقدسة، بعنوان: (القرآن والإمام الجواد عليه السلام)، بحضور ومشاركة أكثر من(٧٠٠) شخصية نسوية من داخل الجمهورية الإسلامية الإيرانية وخارجها.

حيث شهد المؤتمر طرح عدد من البحوث، سلّطت الضوء على بعض المأثورات للإمام الجواد عليه السلام في مجال تفسير القرآن الكريم، وبعض آثاره الفكرية في هذا المضمار، فضلاً عن بحوث وكلمات أخرى تعلقت بالشأن القرآني لعدد من الباحثات.

ثم اختتم المؤتمر بتكريم عدد من النسوة اللاتي خدمن كتاب الله عزّ وجل، وكانت لهنّ نشاطات قرآنية متميزة، وكان لخادمات الإمامين الجوادين عليهما السلام نصيبٌ من هذا التكريم، حيث كُرمت الخادمتان السيدة (بتول جبار كاظم) والسيدة (هدى فخري) نظراً لجهودهما المباركة في خدمة كتاب الله تبارك وتعالى.

من الجدير بالذكر أن الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة تسعى إلى تطوير المشروع القرآني من خلال الكثير من الفعاليات والمحافل والدورات والنشاطات القرآنية، لأجل تعزيز الثقافة القرآنية فضلاً عن مدّ جسور التواصل الإيماني مع المؤسسات القرآنية.

حضور وفد العتبة الكاظمية في المؤتمر العلمي القرآني

لبّى وفد العتبة الكاظمية المقدسة دعوة دار القرآن الكريم التابع للعتبة الحسينية المقدسة لحضور المؤتمر العلمي القرآني الأول والذي انعقد بالتزامن مع ذكرى الولادة الميمونة للرسول الأكرم محمد المصطفى ﷺ والإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام تحت شعار (التلازم المعرفي بين القرآن الكريم والعترة الطاهرة) وذلك بمشاركة باحثين من أساتذة ورؤساء أقسام الدراسات القرآنية في الجامعات العراقية في قاعة خاتم الأنبياء في الصحن الحسيني الشريف.

وقد ضم الوفد الحاج قاسم كشكول عضو مجلس الإدارة والشيخ الدكتور عماد الكاظمي والحاج جلال علي محمد، حيث انعقد هذا المؤتمر بالتعاون مع جامعة كربلاء وبإشراف مركز البحوث والدراسات القرآنية التابع لدار القرآن الكريم في العتبة الحسينية وبمشاركة (٤٨) بحثا قرآنيا ويهدف إلى استنطاق المفاهيم القرآنية لبناء العقيدة الحقة ومواجهة التحديات الفكرية المعاصرة وكذلك تأصيل الأسس التي وضع ركائزها القرآن الكريم وكرسها النبي وأهل بيته الكرام (عليهم السلام) من خلال سيرتهم العطرة لبناء المجتمعات وتربية أبنائها.

وفد العتبة الكاظمية يحضر فعاليات مسابقة السفير القرآنية

بدعوة كريمة من أمانة مسجد الكوفة المعظم والمزارات الملحقة به توجه الوفد ذاته لحضور الحفل الختامي لفعاليات مسابقة السفير القرآنية الوطنية الثامنة للحفظ والتلاوة والتي أقيمت في مصلى السفير مسلم بن عقيل عليه السلام بمشاركة قرّاء وحفّاظ من العتبات المقدسة ومن جميع المحافظات العراقية وبحضور المدير العام لدائرة العتبات المقدسة والمزارات الشريفة وأساتذة في الحوزة العلمية وأمناء مزارات وأكاديميين ووجهاء ومسؤولين حكوميين ووسائل إعلام، والذي تكلل بتكريم الفائزين بالمراتب الثلاث الأولى في الحفظ والتلاوة كما تم تكريم اللجنة التحكيمية والمساهمين في إنجاح هذه المسابقة والإعلاميين الذين باشروا تغطية هذا النشاط القرآني الذي يقام سنويا ولمدة يومين متتاليين ابتهاجا بذكرى ولادة الرسول الأكرم ﷺ وحفيده الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

دار القرآن الكريم في العتبة الكاظمية المقدسة

يجري اختبارات دورة أحكام التلاوة والتجويد

أجرى دار القرآن الكريم التابع لقسم الشؤون الفكرية والإعلام في العتبة الكاظمية المقدسة اختبار الفصل الثاني لدورة أحكام التلاوة وتجويد القرآن الكريم، بإشراف القارئ الدكتور رافع العامري، وفق أجواء مناسبة وأسس علمية رصينة، وذلك سعياً إلى الارتقاء بمستوى المشاركين فيها من خلال تدريبهم على أحكام التلاوة، وتصحيح الأداء القرآني، وتعليمهم قواعد التجويد وبيان مخارج الحروف لتكون تلاواتهم خالية من الأخطاء، حيث أن الدورة اعتمدت منهجاً أكاديمياً وعملياً تُمكّن المتخرج منها بتفوق بعد اجتيازه الاختبارات والامتحانات والتقييم النهائي أن تكون لهُ القابلية على تدريس طلبة الدورات القرآنية الأخرى.

العتبة الكاظمية المقدسة

تحتضن مسيرةً قرآنية حسينية مباركة

تجسيداً لقول النبي الأكرم ﷺ: (إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي، ما إنْ تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً)، وإحياءً لملحمة الطف الخالدة التي جسّد فيها الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام جميع القيم الإنسانية والإيمانية والأخلاقية التي جاء بها القرآن الكريم، أقيمت مسيرة قرآنية حسينية حاشدة دعا إليها المركز الوطني لعلوم القرآن التابع لديوان الوقف الشيعي وبالتنسيق مع العتبة الكاظمية المقدسة وبمشاركة المؤسسات والروابط القرآنية في بغداد، وجمع من مشايخ وأساتذة القرآن الكريم وطلبة الدورات القرآنية، كما شارك في هذه المسيرة الولائية التي انطلقت صباح السادس والعشرين من شهر محرم الحرام عام ١٤٤٠هـ الموافق السادس من تشرين الأول عام ٢٠١٨م دار القرآن الكريم في العتبة الكاظمية المقدسة والعتبتين المقدستين الحسينية والعباسية فضلاً عن مشاركة القسم النسوي في المركز الوطني لعلوم القرآن.

وتوجّه المعزُّون المشاركون في المسيرة صوب الصحن الكاظمي الشريف انطلاقاً من الشارع المقابل لباب المراد، حيث صدحت حناجرهم بهتافات وشعارات الولاء والعزاء القرآنية الحسينية التي قطعت العهد للإمام سيد الشهداء عليه السلام بالمضي على نهجه الرسالي القرآني العظيم، وقدَّمت أحرَّ آيات العزاء والمواساة للإمامين الكاظمين عليهما السلام، كما أكد المعزُّون الذين تشرَّفوا بالمشاركة في إحياء هذه الشعائر المقدسة على تمسُّكهم بنهج القرآن العظيم، الذي جسَّده سيد الشهداء في يوم عاشوراء بأروع صوره، ودعوا إلى مواصلة هذه المسيرات التي تعكس الوعي القرآني، وتطبيقه على الواقع الذي يعيشه المجتمع من جانب، وإحياء الذكر العطر لأهل البيت عليهم السلام العِدل المبارك للقرآن الكريم من جانب آخر.

ولبيان أهمية هذه المسيرة القرآنية، وما تعكسه من صورة إيجابية على صعيد إحياء الشعائر الحسينية أجرت مجلة (ق والقرآن المجيد) عدداً من اللقاءات مع المشاركين فيها، وكانت كالآتي:

الدكتور الشيخ رافع العامري/ مدير مركز علوم القرآن في ديوان الوقف الشيعي:

إن لأهل القرآن الكريم نصيباً من العزاء الحسيني، ولهم مشاركة ومواساة للإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف في هذه الفاجعة الأليمة، وأيضاً في مسيرة السبايا الأليمة، فهذا الجمع المبارك من خدمة القرآن الكريم من الأساتذة والقراء والحفاظ، من الأخوة والأخوات من مختلف الجهات القرآنية في بغداد والأقضية والنواحي المرتبطة بها جاؤوا اليوم ليرفعوا شعار العزاء الحسيني، والكل يحضر ويعزي بهذه الردات الحسينية القرآنية المشتركة؛ لتكون الرسالة واضحة بأنَّ أهل القرآن الكريم كبقية الشرائح الأخرى أصبح لهم حضور في العزاء الحسيني ومشاركة، ويلتزموا بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله ويكملوا مسيرة التزامهم بالقرآن الكريم وتلاوتهم وحفظهم وتدريسهم بأنْ يكونوا من خدمة الإمام الحسين عليه السلام ومشاركين بعزائه، وإن شاء الله تعالى تكون هذه خطوة أولى التي تتعزز بخطوات أكبر وأوسع.

الشيخ مضر الصحاف/ أستاذ ومحكم قرآني:

في هذا اليوم المبارك قامت الحشود القرآنية الحسينية من خدمة القرآن الكريم بهذه المسيرة العزائية لكي تجسد ولاءها العميق للإمام الحسين عليه السلام، وتعلن أنَّها تسير على نهجه القويم ومبادئه السامية، وتقتفي آثاره وتجسد وصاياه بالعمل الصالح، حيث لا يمكن للإنسان أنْ يتمسك بالقرآن من دون العترة الطاهرة فمن يفعل ذلك فكأنما أمات القرآن، وهذا ما أرادت الحشود المشاركة في هذه المسيرة إيصاله عبر رسالتها المباركة للعالم، وتؤكد بأنّ القرآن هو صنوٌ للعترة الطاهرة، والعترة هي صنوٌ للقرآن الكريم، ولابد من التمسك بالنبي الأكرم وآله الميامين عليهم السلام خصوصاً في هذه الأيام الأليمة التي تمر فيها ذكرى عاشوراء استشهاد الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام.

الحاج جلال علي محمد/ مدير دار القرآن في العتبة الكاظمية المقدسة:

تعد هذه المسيرة القرآنية حسينية المباركة تجسيداً واقعياً لمفهوم التمسك بنهج أئمة أهل البيت عليهم السلام، والالتزام بوصاياهم المباركة التي أكدت على ضرورة إحياء ذكرهم العطر من خلال إقامة الشعائر الحسينية، وإيصال ما تحمله من أبعاد وآثار عقائدية وإنسانية عظيمة الى العالم أجمع، كما أنَ إقامة هذه المراسم العزائية المباركة في هذا المكان المقدس في الرحاب الطاهرة للإمامين الجوادين عليهما السلام بمشاركة حملة القرآن الكريم وحفظته يضفي عليها من القداسة والأهمية إلى قداستها، وهذا ما دأبت عليه العتبة الكاظمية المقدسة من خلال احتضانها لهكذا نشاطات ومسيرات مباركة؛ سعياً منها لإحياء الذكر العطر لأحياء الذكر العطر لأئمة الهدى عليهم السلام، ونشر فكرهم النير.

نبيل خلف جابر/ مدير فرع بغداد لدار القرآن التابع للعتبة العباسية المقدسة:

نعزي صاحب العصر والزمان الإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف ومراجعنا العظام بهذا الشهر، ألا وهو شهر الأحزان شهر الإمام الحسين عليه السلام، إنّ هذه المسيرة القرآنية هي أقل ما نقدمه وفاءً وولاءً لصاحب الذكرى سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، ونحن القرآنيون إذ نحيي هذه الذكرى الأليمة امتثالاً لوصية الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله، بقوله : (إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إنْ تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً)، وهذا ما تجلى في الحضور المبارك للقرآن ولقرائه في المجالس الحسينية، حيث كان المعزون يستمعون لآياته المباركة قبيل البدء بمراسم العزاء والمحاضرات الدينية، أما أنّ مشاركتنا في هذه المسيرة القرآنية فهو تأكيد لملازمة خط أهل البيت عليهم السلام للقرآن الكريم، وعدم افتراقهما ليوم القيامة.

الحاج أبو محمد الجنابي / معاون مسؤول قسم القرآن الكريم في هيأة الحشد الشعبي

بدءاً أن هذه المبادرة المباركة للمؤسسة القرآنية العراقية جاءت لتؤكد على اهتمام المؤسسات والهيئات القرآنية والتزامها بالخط الحسيني المبارك من خلال مشاركتها في هذه المسيرة الحسينية المباركة، وإحياء جانب من الجوانب الإنسانية لواقعة الطف الخالدة، ونسأل الله تعالى أنْ تستمر هذه المبادرة المباركة للسنين القادمة إنْ شاء الله تعالى؛ لتكون حافزاً لحث الناس على مشاركة أهل البيت عليهم السلام مصابهم وأحزانهم في هذه الفاجعة الأليمة.

ونحن إذ نشارك في هذه المسيرة المباركة نأمل إيصال رسالة مهمة نعبر من خلالها طبيعة العلاقة العظيمة التي تجمع القرآن الكريم بالقيم والمبادئ الرسالية التي ضحى من أجلها الإمام الحسين عليه السلام.

واختتمت هذه المسيرة القرآنية الحسينية المباركة بإقامة مجلس عزاء حسيني في الجهة المقابلة لباب المراد في موكب خدمة الإمامين الجوادين عليهما السلام.

وجوه بلاغة البسملة

الشيخ الدكتور جواد أحمد البهادلي
جامعة الكوفة / كلية القانون

البسملة آية من آيات الله العظام في القرآن الكريم، بل هي أول آية نزل بها الوحي على النبي محمد ﷺ. فلابد أنْ تحمل من خصائص القرآن الكريم ما يحمل الماء القليل من خصائص البحر العظيم ومنها الخصائص البلاغية التي كانت وقت نزول القرآن أبرز سماته، وفي البسملة من وجوه البلاغة ما سنتحدث عنه في النقاط الآتية:

- الإيجاز مع الوضوح: من المعلوم لدى العرب أنَّ (خير الكلام ما قَلَّ ودَلَّ) فقلة الألفاظ مع كثرة المعاني من وجوه الإعجاز بالاتفاق، فإنَّ الجار والمجرور وفي (باسم الله) متعلق بمحذوف، وهو فعل وفاعل أو وصف وفاعل، مع أنَّ حذفه لا يوجب إبهاماً في فهم المراد، لما هو معلوم عند العرب بحذف ما يدل الدليل على حذفه، مثل قولهم: بالرفاه والبنين أو باليمن والبركة.

كما أنَّ العرب كانت تقول (باسم اللات واسم العزى)، ومن أمثال هذه التراكيب يفهم أن في بسم الله حذف يمكن الاهتداء إليه بقرينة المقام وهي الشروع في القول أو في العمل.

- إبراز أهمية المتعلِّق: وهو اسم الله بذكره وحذف المتعلق به وهو الابتداء أو ابتدئ ، وما شاكلها من قصد المتكلم وفعله ، مع ملاحظة ما لو كان مذكوراً متقدماً عليه لكان فيه تأخير لاسم الله عن المقدر وهو فعل المتكلم.

- وفي حذف المتعلق فوائد نوجزها بالنقاط الآتية:

أ. إنَّه موطن لا ينبغي أنْ يتقدم فيه سوى ذكر الله تعالى، فلو ذكرت الفعل - وهو لا يستغني عن فاعله - كان ذلك مناقضاً للمقصود فكان في حذفه مشاكلة اللفظ للمعنى؛ ليكون المبدوء به اسم الله كما تقول في الصلاة (الله اكبر)، ومعناه أكبر من كُل شيء أو أكبر من أنْ يوصف كما في مضمون بعض الأخبار، ولكن لا نقول هذا المقدر ليكون اللفظ مطابقاً لمقصود الجنان وهو أنْ لا يكون في القلب إلا الله وحده، فكما تجرد ذكره في قلب المصلي تجرد ذكره في لسانه.

ب. إنَّ الفعل إذا حذف صح الابتداء بالتسمية في كُلِّ عمل وقول وحركة، وليس فعل أولى بها من فعل، فكان الحذف أعم من الذكر، فإنَّ أي فعل ذكرته كان المحذوف أعم منه.

جـ. إنَّ الحذف أبلغ؛ لأنَّ المتكلم بهذه الكلمة كأنَّه يدعي الاستغناء بالمشاهدة عن النطق بالفعل، فكأنّه لا حاجة إلى العطف به؛ لأنّ المشاهدة والحال دال على أنَّ هذا وكُلّ فعل فإنّما هو باسمه تعالى، والحوالة على شاهد الحال أبلغ من الحوالة على شاهد النطق كما قيل :

ومـــن عجب قول العـــواذل مَنْ به
وهل غير مَنْ أهوى يحب ويعشـــق

- دلالة الباء على الاختصاص. بمعنى أنّ المتكلم خص ابتداءه أو استعانته بالله تعالى من دون غيره من الأسماء أو مدلولاتها؛ مثلما دَلّ التعبير بالضمير المنفصل على فعله في قوله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) الدالين على الحصر به تعالى من دون غيره، وحصر الاستعانة به وحده دون سواه.

- تقديم لفظ الجلالة وهو (الله) على ذكر الصفتين الرحمن الرحيم: فإنّ اسم الذات يدل ضمناً على جميع الصفات، بل هي عينه، وما هي إلا جهات وحيثيات للناظر، بما فيها العلو والقدرة والقهر، فذكر الرحمن والرحيم بعد اسم الذات يدلُّ على أنَّ رحمته تعالى أسبق من هذه الصفات إلى عباده، وأكثر وأكمل من قهره.

فضلاً عن أنّ أسبقية لفظ الجلالة في الذكر لصفة الرحمن وأسبقية الرحمن لصفة الرحيم فيهما من التدرج ما لا يخفى حسنه على ذوي اللسان.

فالله هو الحقيقة العليا المطلقة، والرحمن صفته التي تشمل الكائنات المرئية وغير المرئية، والرحيم تخص المؤمنين تشريفاً وتكريماً لهم، فهذا التدرج من الأعم إلى الأخص، أو من الإطلاق إلى التقييد مما يضفي على الكلام قيمة بلاغية.

- لتقديم صفة الرحمن على الرحيم قيمة بلاغية أيضاً من جهتين:

١ ــ إنَّ الرحمن بحسب صيغته دال على الصفة القائمة بالذات، والرحيم بمقتضى صيغتهما أيضاً تدلُّ على تعلق الفعل بالمفعول، أي تعلق الرحمة بالعباد، فالرحمة وصف والرحيم كأنه فعل، ولا يتحقق الفعل ما لم يكن وصف، وعلى هذا قدم ذكر الوصف على ذكر ما يدل على الفعل.

٢ ــ إنَّ الرحمن وإنْ دلت هيأتها على العموم والسعة، إلا أنَّها لا تدل على الاستمرارية والثبات،

فأعقبها بذكر الرحيم الدالة بهيأتها على أنَّ المبدأ فيها من السجايا غير المنفكة عن الذات، وبهذين الوصفين قد جمع بين العموم والسعة في الرحمة، وبين استمرار رحمته الواسعة.

◆ ذكر صفة الرحمة في أول آية في القرآن الكريم يحمل عدة دلالات:

١ ــ إنَّ هذه الصفة هي أول الصفات الكمالية للذات المقدسة، حيث ابتدأ بها القرآن من دون سائر الصفات الأخرى.

٢ ــ بدء القرآن الكريم بهذه الصفة للدلالة على أنَّ القرآن الكريم نزل للناس رحمة كما قال تعالى: (وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ).

٣ ــ إنَّ الرسول الأعظم ﷺ جاء بالرحمة للعباد كما وصفه تعالى بذلك إذ قال عز من قائل: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ).

وهذا التطابق بين بدء القرآن مع ما في القرآن ومع مَنْ نزل عليه القرآن وهدف الإنزال مما يدرك بلاغته أهل البلاغة.

◆ تكرار صفة الرحمة تحمل تعظيم الموصوف وتأكيد الصفة وتقريرها في نفوس المخاطبين، ومع رجحان هذا التأكيد فقد تجنبت الآية تكرار معنى الرحمة بلفظ واحد فعبرت بصيغتين مختلفتين.

◆ صيغة رحمن تدل على شمول الرحمة للجليل من الأمور واللطيف منها، فبدء بها لإفادة هذا العموم الذي هو أنس بالعظيم الذي يهب جلائل النعم وعظائمها وأصولها، ومع هذا أعقبها بالرحيم الدالة بصيغتها على ما دق من الأمور ولطف ، للدلالة على أنّه تعالى كما يطلب منه عظيم الأمور يطلب منه دقائقها.

وقد كانت العرب تقول لمن طلب منهم اليسير: اطلب للمهم اليسير رجلاً يسيراً.

◆ ذكر الرحمن الرحيم بما لهما من مدلول بعد ذكر الابتداء باسم الله، بمنزلة التعليل للابتداء باسمه تعالى أو الاستعانة به؛ لأنَّ الابتداء بشيء والاستعانة به يتطلب داعياً من المبتدأ، فأرشدت الآية الكريمة إلى أنَّ داعي الابتداء والاستعانة هو سعة رحمته ووصولها إلى عبادة.

فالبسملة شأنها شأن القرآن كله، قد عبَّرت عن المقصود بأوجز عبارة، وبكُلّ دقة من دون نقص أو اضطراب، خفيفة على اللسان لا يملها الطبع مهما تكررت في صلاة وغيرها مما يحسن ذكرها فيه، فهي مع كثرة التكرار غضّة طرية، وتصادف من نفسك نشاطاً مستأنفاً، وحساً موفوراً، وأنَّ ما يميز أجراسها على مقدار ما يكون من صفاء الحس ورقة النفس وهو لعمر الله أمر يوسع فكر العاقل ويملأ صدر المفكر.

ولا عجب في كل هذا وغيره في هذا الأمر بعد أنْ كان صانعها هو صانع النفس الذي يعلم ببلاغة الطبيعة الإنسانية وبلاغة الصياغة، وما بينهما من التوافق والانسجام والمؤانسة.

خادم الثقلين

جلال علي محمد
م. دار القرآن الكريم

إنه لشرف عظيم أن ينتسب الإنسان إلى بيتٍ من البيوت التي ﴿أَذِنَ اللهُ أنْ تُرفع ويُذكر فيها اسمُه﴾، ومن سعادة المرء الموالي أن يكون خادماً عند مراقد أهل البيت عليهم السلام وهم الثقل الثاني، وهذا تشريف لا يناله إلا ذو حظ عظيم لأنه سيُكسب صاحبه احتراما ووقارا في الدنيا بسبب عمله في تلك الأماكن المقدسة، وأما في الآخرة فله ثواب عظيم ولكن بشرط خلوص النية والتفاني في الخدمة لا اعتبار المكان مجرد موقع وظيفي لكسب العيش، فعندما نقرأ مثلا في حرم الإمام الحسين عليه السلام (يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزا عظيما) فإننا نقصد: معهم في نُصرتهم للحسين رغم علمنا بتطاير الأيدي والرؤوس في تلك المعية، لكن الله عز وجل سخّر لنا الظروف لنكون معهم ولكن ليس في ساحة حرب.. بل في حياة مدنية وفي أماكن آمنة ومظللة ومكيفة أفلا يستدعي ذلك الحمد والشكر؟!! ومن مصاديق شكر هذه النعمة يكون لزاما علينا أنْ نخلص في الخدمة ونحن في جوار الإمامين الكاظمين الجوادين عليهما السلام خاصة ونحن نقول في الزيارة: (أشهد أنك تسمع الكلام وترد السلام) فإن كنا نعتقد بما نقول فهو إيمان راسخ ينتج عنه مراقبة السلوك من قول أو فعل في تلك الرحاب الطاهرة وتجنب الوقوع في الخطأ واقتراف الإثم، وإلّا فهي مجرد لقلقة لسان ونكون من الذين يقولون ما لا يفعلون، ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ فسبحانه وتعالى مطلع على السرائر وهو أقرب إلينا من حبل الوريد.

أما الثقل الأول فهو كتاب الله.. فعندما نكون خَدَمةً للقرآن وحاملين له معنًى وروحًا فإننا قد نترجم التمسك الحقيقي الذي ما إنْ تمسكنا بهما لن نضلّ، وذلك مصداق لوصية النبي صلى الله عليه وآله (إني تارك فيكم الثقلين ما إنْ تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي: كتاب الله وعترتي) وهذا شرف ما بعده شرف وهي مسؤولية تلزمنا أن نكون قدوة للآخرين نحترم انتسابنا للكتاب والعترة.

لقد كان من دواعي الفخر أن يشارك وفدٌ قرآنيٌّ من خادمات العتبة المقدسة من اللائي خدمن القرآن وعملن على تعلّمه ونشر تعليمه أنْ يلبّين دعوةً في مؤتمر دولي خاص بالنساء القرآنيات ليتم تكريمهنّ والاحتفاء بهنّ بجوار الإمام الرؤوف السلطان أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام، وهو لقاء كان للعتبة الكاظمية المقدسة حضور ملموس بين أكثر من ٧٠٠ مشاركة.

نبينا ﷺ من منظور مسيحي معاصر

هل تنبأ عيسى بمحمد؟

بوابة إنـجيلية ما بين المسيحية والإسلام

ليس هنالك مرشّح أفضل من محمد، بل ولا يدانيه في المرتبة، إذا ما أريد لوعد المسيح عيسى أن يتحقق فيما يخص (الروح الحقّ) الذي سيأتي بوحي جديد من الله.

ترجمة: رياض عبد الغني الحسن

بقلم: إيان ميفوراتش- رجل دين وقائد روحي وناشط

الجزء الأول

حان الوقت للمسيحيين والمسلمين أنْ يحققوا السلام بين مجتمعيهما. إنهم الآن مجتمعان اثنان يشكلون أكثر من نصف سكان المعمورة، وهي أرقام ستزيد وفق ما هو متوقع في العقود القادمة. فقد ذكر مركز بيو (Pew) للأبحاث، أنه بحلول عام ٢٠٥٠، سيكوّن المسيحيون والمسلمون ثلثي البشر في العالم، أي ما يقرب من ٧،٥ مليار إنسان.

فكوكبنا، بكل بساطة، لا يحتمل قرناً آخر من سوء الفهم والعنف بين هذين المجتمعين، فالتحديات التي نواجهها، بصفتنا أسرة إنسانية عالمية، تحديات عميقة: خصومة متواصلة وانتشار نووي، فقر عالمي وتفاوت اقتصادي، تغير في المناخ وتردٍّ بيئي. فكيف يتسنى للإنسانية معالجة هذه الأزمات وغيرها إذا كانت فئتانا الدينيتان الأكثر تعداداً قد زُجَّتا في صراع لا ينقطع وكان عدم التفاهم هو ما يحدّد طبيعة علاقتنا؟ ظل رجل الدين المعاصر (هانز كنغ) على مدى عقود يقول: لن يتحقق السلام بين أممنا دون وجود سلام بين أديياننا. والآن حان الوقت اللازم لتغيير الطريق الذي يرى كلٌّ من المسيحيين والمسلمين فيه بعضهم بعضاً ويرتبط به.

في مقال سابق على موقع (Huffington Post) عن عقدة الخوف من الإسلام (Islamophobia) عند المسيحيين، قلتُ بأنَّ لدى المسيحيين الفرصة في تغيير الطريقة التي ينظرون بها إلى الإسلام والمسلمين من خلال قبولهم لمحمد (روحاً للحقّ).

وإذا استعرضنا التاريخ، وجدنا أنّ معظم رجال الدين المسيحيين وبضمنهم: جون من دمشق، وتوماس أكويناز، ودانتي، ونيكولاس من مدينة كوزا الألمانية، ومارتن لوثر، لم يكونوا يرون محمداً على أنه (الروح الحق). على أنّ كثيراً من مسيحيي اليوم يحترمون الإسلام ولا يتلفظون بما يسيء إلى محمد.

نرى أنّ الغالبية من المسيحيين ما تزال تتخذ، من حيث الأساس، موقف المتخوِّف من محمد. ولهذا فأنا أرى أن الوقت قد حان ليبادر المسيحيون من صانعي السلام ليخالفوا هذا

الموقف بصورة مباشرة. إن تغيير نظرتنا إلى محمد واعترافنا به نبياً حقيقياً بدلاً من الانتقاص منه ومن نبوته، سيحصّن المسيحيين وبشكل فاعل من عقدة الخوف من الإسلام، ويساعد على تأسيس معايير جديدة لعلاقات التعاون بين المسيحيين والمسلمين.

في خطاب المسيح الوداعي في إنجيل يوحنا (الفصول ١٤-١٦)، يتحدث المسيح عن قدوم (الروح الحقّ) أو فارقليط (Parakletos) في اليونانية وتعني (الناصر). وعلى مدى قرون ظلّ المفسرون المسلمون يرون محمداً على أنه المعني بذلك الشخص، بناء على الآية السادسة من سورة الصف، وفيها يتنبأ المسيح بقدوم رسول في المستقبل اسمه (أحمد): ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾.

(أحمد)، وهو اسم آخر لـ(محمد) وهو قريب من حيث الاشتقاق اللغوي في اللغة اليونانية من (Parakletos)، وعليه فإنّ من المرجح أنّ القرآن يقول إنّ خطاب الوداع للمسيح في إنجيل يوحنا يتنبأ بمحمد. والمانع الرئيس لدى المسيحيين من انطباق هذه التنبؤات على محمد أو أي نبي آخر هو أنهم يقرأونها على أنّها جزء من وعد المسيح بهدية (الروح القدس).

إنّ وعد المسيح بالروح القدس يعدّ جزءاً من العقيدة المسيحية، وإنّ تأويلي للروح الحقّ بأنّ المقصود به (محمد) أمر أكيد. فإنّ ما جاء في إنجيل يوحنا ١٤/١٦-١٧ و ١٤/٢٦ يذكر بوضوح وعد الروح القدس. في يوحنا ١٤/١٦-١٧ يأتي الحديث عن الناصر أو الروح الحق على أنه وجود داخلي ثابت لا مرئي خالد. وفي معظم المخطوطات، يسمى هذا الناصر بـ(الروح القدس) بصورة مباشرة في يوحنا ١٤/٢٦. لكن مع مواصلة المسيح لخطابه تصبح هذه العناوين متعددة المعاني، وفي يوحنا ١٥/٢٦-٢٧ و ١٦/٧-١٥، تبدأ بالإشارة إلى نبي مستقبلي أكثر مما تشير إلى الروح القدس.

بعض المفسرين المسلمين الذين يعرّفون محمداً على أنه الناصر يقولون إنّ هذا العنوان لا يشير إلى الروح القدس على الإطلاق، وإنّ النص في إنجيل يوحنا تعرض للتحريف لتعمية الإشارة المباشرة إلى محمد. أما أنا فأعتقد أنّ العنوانين (الروح الحقّ) و(الناصر) وردا في إنجيل يوحنا للتحدث أولاً عن الوعد بالروح القدس، ولا أرى أنّ النص قد جرى تغييره لإخفاء شيء. هذا التأويل في إنجيل يوحنا يفتح أمامنا موضوع (محمد) بصفته (الروح الحق) بشكل يؤكد نزاهة الموروث المسيحي. لكن قبل أنْ أُبين تفاصل تفسيري الخاص، أود أنْ أتحدث بإيجاز عن الصورة الكاملة التي تبين السبب في كون إنجيل يوحنا على وجه الخصوص هو الذي يخبرنا بأنّ المسيح يتنبأ بظهور نبي في المستقبل.

الجزء الثاني

إنّ إنجيل يوحنا هو آخر نسخة أقرّتها الكنيسة من نسخ الإنجيل، فقد كُتب على الأقل بعد انقضاء جيل بعد الأناجيل، وربما جيلين أو أكثر بعد رسائل بولص. إنّ الذي كتب إنجيل يوحنا، وغالباً ما يسمى الحواريُّ المحبوب، يزعم أنّه آخر شاهد حي على بعث المسيح عيسى. ففي فقرة في نهاية الإنجيل يخبرنا بقصة عن مواجهة له مع المسيح الذي بُعث إلى الحياة مما جعله والآخرين يؤمنون أنّه سيعيش ليرى قدوم المسيح ثانياً.

(٢٠فَالْتَفَتَ بُطْرُسُ وَنَظَرَ التِّلْمِيذَ الَّذِي كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ

يَتْبَعُهُ، وَهُوَ أَيْضًا الَّذِي اتَّكَأَ عَلَى صَدْرِهِ وَقْتَ الْعَشَاءِ، وَقَالَ:«يَا سَيِّدُ، مَنْ هُوَ الَّذِي يُسَلِّمُكَ؟» ٢١فَلَمَّا رَأَى بُطْرُسُ هذَا، قَالَ لِيَسُوعَ:«يَارَبُّ، وَهذَا مَا لَهُ؟» ٢٢قَالَ لَهُ يَسُوعُ:«إِنْ كُنْتُ أَشَاءُ أَنَّهُ يَبْقَى حَتَّى أَجِيءَ، فَمَاذَا لَكَ؟ اتْبَعْنِي أَنْتَ!».٢٣فَذَاعَ هذَا الْقَوْلُ بَيْنَ الإِخْوَةِ: إِنَّ ذلِكَ التِّلْمِيذَ لاَ يَمُوتُ. وَلكِنْ لَمْ يَقُلْ لَهُ يَسُوعُ إِنَّهُ لاَ يَمُوتُ، بَلْ:«إِنْ كُنْتُ أَشَاءُ أَنَّهُ يَبْقَى حَتَّى أَجِيءَ، فَمَاذَا لَكَ؟».٢٤هذَا هُوَ التِّلْمِيذُ الَّذِي يَشْهَدُ بِهذَا وَكَتَبَ هذَا. وَنَعْلَمُ أَنَّ شَهَادَتَهُ حَقٌّ). (انجيل يوحنا ٢١/٢٠-٢٤)

هذه الفقرة ترينا أنّ كاتب إنجيل يوحنا له نموذج يختلف عن كتّاب العهد الجديد الأسبقين طالما أنه لم يعد يتوقع القدوم الوشيك للمسيح ثانية. فبولص مثلاً الذي كتب خلال العقود التي أعقبت موت المسيح وبعثه مباشرة، كان يعتقد بعودة المسيح بينما كان أغلب الناس الذين كان يعظهم ما يزالون على قيد الحياة. يبحث من كتب إنجيل يوحنا عن معنى جديد في وعد المسيح بالروح الحقّ أو الناصر لأنه يدرك أنه سيموت قبل عودة المسيح. ومن المحتمل أنه كان قد توفي عندما صدر إنجيله، وكان مجتمعه يتطلع إلى مستقبل أطول وأكثر تعقيداً مما هو متوقع في الأصل.

ويؤدي إنجيل يوحنا دوراً في العهد الجديد مشابهاً للدور الذي يؤديه سفر التثنية في العهد القديم. فسفر التثنية هو آخر نص في التوراة، ويعيد ذكر قانون موسى وفقاً لما جاء في الكتب الأربعة السابقة. وهو يتنبأ أيضاً بالرسول المستقبلي كما جاء في إنجيل يوحنا.

(أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ، فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ.) (سفر التثنية: ١٨)

إذن فسفر التثنية وإنجيل يوحنا كلاهما وحي، لكن الوسط الناقل للوحي يختلف في كلٍّ منهما، التوراة والإنجيل، وكلاهما يشيران إلى أنّ هناك وحياً آخر سيأتي في المستقبل. إنّ اللغة المستخدمة في إنجيل يوحنا الخاصة بالروح الحق أو الناصر تشبه بشكل لافت للنظر لغة سفر التثنية:

(وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ.) (إنجيل يوحنا ١٦/١٣)

كما يفتح إنجيل يوحنا باب انتظار وحي مستقبلي، كما هو عليه الأمر في سفر التثنية. ونبوءة يوحنا لا تحدد على وجه الدقة أن المقصود هو محمد بالذات، لكن إلى الحد

الذي يقول فيه القرآن أنَّ محمداً هو الروح الحق أو الناصر الذي تنبأ به المسيح عيسى، يبرز خيار قوي في التفسير عند المسيحيين يستقبلون به محمداً على أنه النبي الذي تنبأ به المسيح حينما يقول:

(١٢إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لأَقُولَ لَكُمْ، وَلكِنْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ. ١٣وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. ١٤ذَاكَ يُمَجِّدُنِي، لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ. ١٥كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي. لِهذَا قُلْتُ إِنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ)(يوحنا: ١٦/١٢-١٥)

في هذا النص، يختلف وصف الناصر أو الروح الحق اختلافاً نوعياً عما هو موجود في نصوص سابقة. فنرى هنا الروح الحق يتحدث إلى الأتباع وليس من خلالهم. في مناسبة سابقة، في يوحنا ١٤/١٧، يقول المسيح إنَّ الروح الحق سيكون ماكثاً مع أتباعه ويكون فيهم. وعلى صفحات إنجيل يوحنا، ترى أنَّ الروح الحق يجري الحديث عنه على أنه وجود داخلي ماكث معهم. كما إنَّه في الإصحاح ١٤/٢٦، يقول المسيح إنَّ الناصر (يُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ).

في هذه الفقرات، يتحدث المسيح عن الروح الحق الذي سيعين أتباعه على فهم ما قاله. من حيث الأساس، قد يكون ذلك ما مرّ به الحواريُّ المحبوب، كاتب إنجيل يوحنا، الذي كان يهديه وجود الروح إلى تذكر كلمات المسيح وأفعاله وتفسيرها (على نحو الإلهام وليس مادياً). لكن في إنجيل يوحنا ١٦/١٢-١٥، يتحدث المسيح عن الروح الحق الذي سيأتي بوحي جديد حيث سيقول (أموراً كثيرة) لا يقولها المسيح مخاطباً أتباعه والسبب لأنكم (لا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ).

إنّ ما يمكن تمييزه بوضوح أنَّ الروح الحق المذكور في يوحنا- الإصحاح ١٦، قد ذكره المسيح من باب النبوءة أنه سيصدع بوحي جديد، لا ليذكر أتباعه بما سبق أنْأخبرهم به فحسب كما جاء في يوحنا ١٤. إذ إنَّ فكرة أنه (وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ) تحمل أهمية خاصة؛ لأنها تؤيد الحيرة التي انتابت أتباع المسيح بخصوص المستقبل، بعد أنْ أعلموه بأنه لم يعد بالسرعة التي انتظرها. لقد أكد أنَّ هذا النبي المستقبلي سيمجّده بإعلانه عن وحي جديد آتٍ من مصدر الرسالة نفسه: الله.

لقد وُضع هذا الخطاب ليفتح عقول المسيحيين ليستقبلوا وحياً مستقبلياً لا بصفة منافسٍ للإنجيل أو مقلّل من شأنه، بل سيكون ممجِّداً للمسيح. ومع الأسف هذه الكلمات الواردة في إنجيل يوحنا قد غض المسيحيون عنها الطرف تماماً، ممن يرفضون القرآن ويقللون من شأنه. ونحن في الغالب الأعم تجاهلنا تماماً أنّ الإنجيل والقرآن يلتقيان في مصدرهما المشترك في الوحي. في حين إذا أخذنا كلمات المسيح على محمل الجدّ، فلدينا فرصة في تلقي كلمة الله في القرآن وفقاً لما جاء في وعد المسيح من أنّ الروح الحق (يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ). إنّ بإمكاننا أنْ نقبل بالقرآن وحياً لا بصفته معارضاً للإنجيل، بل متفقاً مع الإنجيل ووصية المسيح.

الجزء الثالث

في الرسالة الأولى ليوحنا التي كتبت بعد إنجيل يوحنا والمشابهة له كثيراً، نجد هناك استمرارية للغة التي يستخدمها إنجيل يوحنا التي تحمل في مضامينها المعاني المتعددة في الحديث عن الروح التي ينطبق مفهومها على الروح القدس وأيضاً على الأنبياء الذين تلهمهم الروح. في رسالة يوحنا الأولى ٣/٢٤ و ٤/١٣، يتحدث الكاتب عن هدية الروح القدس وكيف أنها تسكن في أتباع المسيح. لكن في الرسالة نفسها ٤/١-٦، يتحدث الكاتب ضمناً عند كلامه عن الروح القدس في نهاية المطاف عن اختبار الأرواح. في هذه النصوص، يستخدم (الروح) للتحدث عن الأنبياء وكيف يمكنك أنْ تعرف صدقهم من زيفهم.

"بهذا تعرفون روح الله كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله" (١ يوحنا ٤/٢)

يجعل الكاتب (روح الله) في قبالة (روح المسيح الدجال) ومَنْ هو (مِنَ الله) في قبالة مَنْ هم (مِنْ هذا العالم)، "وروح الحق" في قبالة "روح الضلال". وهذا الخطاب يشبه إلى حد كبير الخطاب الموجود في سفر التثنية الذي يخص الأنبياء المستقبليين كما ورد آنفاً.

في سفر التثنية ١٨/٢٠-٢٢، بعد إعطاء الوعد بالنبي المستقبلي في ١٨/١٨ والأمر بالإصغاء إلى ذلك النبي في ١٨/١٩، وُضعت معايير للتمييز بين النبي الحقّ والنبي الزائف. ويهدد

سفر التثنية بأن من يدعي النبوة لإله آخر أو يتكلم كذباً نيابة عن الله "فيموت ذلك النبي". كما ينصح بني إسرائيل بأن يتجاهلوا الأنبياء الزائفين.

(فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبي فلا تخف منه) (١٨/٢٢)

بالطريقة نفسها، لكن باعتماد معايير مختلفة، تعرِّف رسالة يوحنا الأولى أنبياء الحقّ والأنبياء الزائفين وفقاً لولائهم للمسيح ولله والأتباع الأوائل للمسيح. وكان جزءاً من ديناميكية المجتمع الأول لأتباع المسيح أنْ تنبأ الكثير وادَّعى الإلهام من الروح. وقد كان مؤلف الرسالة الأولى ليوحنا قلقاً بشكل خاص من فِرَق المسيحية الدوكتية التي ظهرت لتنكر وجود جسم للمسيح؛ ففي معتقد هذه الفرق المسيحية أنَّ المسيح لم يكن إنساناً واقعاً، بل كان كياناً ملائكياً ظهر للبشر خاصة.

مثل هذه النسخة من الديانة المسيحية قد انفصلت على نحو واضح من التعاليم الحقيقية والقيم التي جاء بها عيسى الناصري ونادى بها أتباعه الأولون الذين كانوا يعلمون بأنه إنسان فعلاً. من الجدير بالملاحظة أنّ محمداً يفي بتلك المعايير من حيث أنَّ القرآن يؤكد أنَّ عيسى هو المسيح وأنه كان جسداً.

عبر تاريخ المسيحية، استخدمت جميع الاصطلاحات السلبية التي وردت في رسالة يوحنا الأولى ٤/١-٦ في حق محمد. فقد وصفوه بأنه (روح الدجال) و(روح الضلال)، غير أنه قد حان الوقت لنا نحن المسيحيين أنْ ندرك كم كُنّا مخطئين في تقييماتنا تلك، ونصحح ذلك بأنْ نؤكد وبقوة أنَّ محمداً هو (الروح الحق).

عندما ننظر إلى الإسلام على أنه دين عالمي، ونرى أنَّ هناك ٦،١ مليار إنسان يتبعون محمداً، والعدد في زيادة، فقد آن الأوان بلا ريب للاعتراف به نبياً. فإذا لم يكن محمد نبياً، فمن هو الجدير بذلك إذن؟ نحن نفهم حقاً أنَّ الكثير من المسيحيين كانوا يتخذون موقف المدافع عن دينهم ووقفوا موقفاً سلبياً من الإسلام. إنَّ رد الفعل هذا القائم على الخوف، ويحمل طابع الذات الجماعية، هو جزء من الطبيعة البشرية.

غير أنَّ من السخافة بمكان أنْ نبقى ننظر إلى محمد على أنه (مسيحي مبتدع) أو (نبي زائف) ونحن نرى أنّ عمر الإسلام قد بلغ ١٤٠٠ عاماً وقد حقق إنجازات جبارة في حقل الفكر والأخلاق والسياسة والفن، وعلى المستوى الروحي والثقافي، كما إنَّ له عدداً ضخماً من الأتباع، له دويُّه على مستوى العالم.

ولا أجد مرشحاً أفضل من محمد، ولا حتى مَنْ يدانيه، ليكون مصداقاً لوعد المسيح في ظهور (الروح الحق) الذي يأتي بوحي جديد من الله تعالى. لا مجال لي في هذا المقال لأكشف الآيات العديدة في القرآن التي وجّهت خطاباً مباشراً للمسيحيين، لكن إذا ما تلقيناها، سيشهد ديننا نقلة إلى الأحسن ويصبح متوازناً مع اليهودية والإسلام.

لقد علم المسيح أنّه سيكون من الصعب علينا قبول هدايته من مصدر آخر. لكنه لم يكن يريد لخوفنا من (الغيرية) الظاهرة المتمثلة بالنبي محمد والقرآن أن تفصلنا عن الطريق، عن الحق، عن الحياة، وبتعبير آخر: عن كلمة الله.

ولهذا فقد تحدث إلى الحواريين وهو يكرر تأكيد (الروح الحق)، قائلاً إنه سوف (يمجّدني). وللسبب نفسه، أكد وحدة تعليماته مع الوحي القادم، مرتين وهو يعيد ذكر الوعد (إِنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ) (يوحنا ١٦/١٤-١٥). وتأسيساً على وعود المسيح، فللمسيحيين التعامل مع القرآن دون خوف، وليعلموا أنه وحي يمجِّد المسيح، ومصدره – بالمعنى الروحي- المسيح نفسه.

إنَّ إنجيل يوحنا الذي بين أيدينا هو بوابة إنجيلية بين المسيحية والإسلام. فإذا اخترنا أنْ ندخلها بنيّة صادقة فسنكتشف أنّ الدينين يصدران من سراج إلهي واحد، وأننا إخوة في الإيمان مطلوب مِنّا أنْ نكون شهداء على الحق جنباً إلى جنب، كما ورد في إنجيل يوحنا (١٥/٢٦-٢٧) ونتعاون في بيان إرادة الله في الأرض كما هي في السماء.

أدعو المسيحيين في كُلّ مكان للنظر في كتبنا المقدسة، والبحث في أنفسنا، وتأمل التاريخ، وطلب الهداية من الروح القدس في الإجابة على هذا السؤال: (ألم يئن الأوان للمسيحيين أنْ يقرّوا بأنَّ محمداً هو الروح الحق؟).

وظيفة القواعد التفسيرية
وأثرها في إحكام إجراءات المفسر

م . م / عمار عبد الرزاق الصغير
جامعة الكوفة / كلية الفقه

أقرَّ علماء البحث القرآني أنَّ مِنْ أهم الأدوات التي يفِد منها المفسر في عملية التفسير هي الآثار النقلية، من نصٍّ قرآني وروائي، وتليها الآثار اللغوية - النحوية والبلاغية والصرفية – ومن الآليات الهامة في العمل التفسيري مواكبة تطورات اللغة وأساليب البيان والتقلبات الدلالية، ولا بد من المهارة العالية في فنون التفسير والاطلاع على الآراء، وامتلاك فن التفسير التحليلي، والاطلاع على التاريخ الصحيح وغيرها، مما له مدخلية أساسية في التفسير

وإنَّ لكل أداة من تلك الأدوات وظيفة وتوظيف وأولوية أي:

١) مهمة أساسية ووظيفة ذاتية، لها أسس وضوابط في الاستعمال لا تتعدى إلى غيره.

٢) أولوية في العمل التفسيري، فلا تتأخر ولا تتخلف عن مهمتها التي استدعت إليه ولا يوظّف غيرها في موردها.

القاعدة الأولى: تفسير القرآن بالقرآن.

مفهوم القاعدة[١]: يعمد المفسر – على وفق هذه القاعدة – إلى جمع النصوص القرآنية التي تُبيِّن النصَّ المفَسَّر، وتوضح غموضه إلى ((مقابلة الآية بالآية والنص بالنص ليستدل على هذه بهذه))[٢]، فيجمع الآيات المعنية في موضوع واحد، ويقارب بين مضامينها وعلاقاتها، حتى يتجلى له المراد من النص المفسَّر ((فإنَّ كل آية من آيات القرآن الكريم تظهر وتنفتح معانيها بواسطة التدبُّر في سائر الآيات القرآنية والاستفادة منها))[٣]، ولاسيما وأنَّ بعض الآيات القرآنية تختزل فيها معارف كثيرة تسهم بشكل أساسي في بلورة فهم الآية المراد تفسيرها؛ لكونها ذات بُعْدٍ شمولي كلي، ومثالها الآيات المحكمات التي يُرجع إليها في إيضاح أُسس كُلِّ آية يراد بيانها، فمن ضرورات العمل التفسيري ((تبيين الآيات الفرعية بواسطة الآيات الأصلية والمحورية، والاستناد إلى الآيات الأقوى

١- إنّ أول من استعمل هذا المنهج هو النّبي الأكرم ﷺ وكذلك نهج الإمام أمير المؤمنين ﷺ في تفسيراته على وفق هذا المنهج الذي أختطّه النبي ﷺ وذلك فيما روي عنه في تحديد مدة الحمل، حيث استنتج أنّ أقلّها هي ستة أشهر، معتمداً على قوله تعالى: (وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا)(الاحقاف، ١٥)، وقوله تعالى: (وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ)(لقمان، ١٤). حيث أنّ مدة الحمل والرضاع ثلاثون شهرًا، فتطرح منها مدة الرضاع وهي عامان، فيبقى ستة أشهر، وهي أقل مدة الحمل. ينظر: ابن كثير. تفسير القرآن العظيم، ٢٤٢/٧ + الفيض الكاشاني . تفسير الصافي، ١٤/٥.

٢- الصغير، محمد حسين. المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم / ٩٢ .

٣- جوادي آملي . تفسير تسنيم، ج١ / ٩٣.

والاستدلال بها في التفسير يبتني على هذا الأساس، وهو أنَّ بعض آيات القرآن الكريم تحتوي في داخلها على جميع المواد اللازمة لتأسيس بنيان معرفي مرصوص، وبعض آياته تتحمل فقط مسؤولية جزءٍ من مواد ذلك البناء))[٤].

لذلك ضرورة العمل بهذه القاعدة والاستناد إلى الآيات ذات الدلالات التطابقية والتضمنية والالتزامية مع النص المراد تفسيره، واعتبارها قرائن تدلل على مقاصده.

موقف علماء التفسير من القاعدة

قال علماء التفسير[٥] أنَّ تفسير القرآن بالقرآن هو من أوثق الطرق التفسيرية، وأكثرها اطمئنانًا في تحصيل المراد؛ لأنَّ القرآن أعرف بلغته من الآخرين، وأعرف بفنون الاستعمالات اللفظية والأسلوبية والتراكيب التي أودعها في نسيج نصوصه، وقاد هذا التقرير إلى تكوين هذه القاعدة، فعُدَّ تفسير القرآن بالقرآن من أساسيات القواعد التفسيرية التي يرجع إليها أولاً قبل كُلِّ شيء، بما للقرآن من لغة خاصة وتعابير تكاد لا تدرك دلائلها إلا إذا سبرت القرآن وفحصته، لتفهم المعاني والمفاهيم التي اصطلح عليها القرآن من القرآن ذاته[٦] ولا أدل على ذلك من كلام أمير المؤمنين عليه السلام: ((كتاب اللَّه .. ينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض، ولا يختلف فيه، ولا يخالف بصاحبه عن اللَّه))[٧]، وإنَّ الإعراض عنه يمثل:

١) سلب المرجعية في تبيان كُلِّ شيء.

٢) إيكال الأمر إلى العقل البشري الذي تتجاذبه بنياته الفكرية الخاصة، ومبانيه الذوقية ((فمن عدل عن هذا وفسر برأيه دخل تحت قوله: ((مَنْ قال في كتاب الله تعالى برأيه فأصاب فقد أخطأ))[٨]، ويكون تصرفه تصرفاً مذموماً))[٩]، فترك تلك القاعدة بلا مسوغ منهجي مشروع يعد وقوعًا في الشذوذ والخطأ التفسيري[١٠].

وإنَّ القرآن هو أول مصدر نقلي قطعي يرجع إليه، وقد رفض الشيخ الطوسي اللغة الغريبة والروايات الشاذة والألفاظ النادرة؛ لأنَّه لا يقطع بمرادها، وسبب ذلك عدم صلاحها لتكون شاهدًا على القرآن، وإلا ففرضها على النص خطأ وإنْ أصابت[١١]، وهذا يدل أنَّ شاهد القرآن إذا كان منه فهو المقدم لقطعه على نفسه.

وهذا المنهج التفسيري ينتج نظرة قرآنية هي الأقرب للواقع القرآني عن الموضوع المبحوث فيه، أي يحدد موقف القرآن الكلي حوله ((ونستوضح معنى الآية من نظيرتها بالتدبر المندوب إليه في نفس القرآن، ونشخص المصاديق ونتعرفها بالخواص التي تعطيها الآيات))[١٢]، فيحدد أُطر الموضوعات وتفرعاتها ويُبَين موقفه منها.

كيفية إعمال القاعدة

يرى المختصون بالشأن القرآني أنَّ هذا المنهج من شأنه أنْ يوضِّح المبهمات في النصوص القرآنية المفسَّرة ويفصِّل المجملات، فما أوجزه في مكان فقد فصله في آخر، وما اختصره في موضع فقد بسطه في موضع آخر[١٣].

فمن أسس العمل في إجراءات هذه القاعدة هو ((جمع النصوص القرآنية في الموضوع الواحد، حتى يرد متشابها إلى محكمها، ويحمل عامها على خاصها، ويفسّر مطلقها بمقيدها، ويوضِّح إجمالها ببيانها، وبهذا تضم الأطراف بعضها إلى بعض، وتنتظم الأجزاء في قالب الكُلّ، وتستصفى نخبة الموضوع في قراءة شاملة مستوعبة، أما اختطاف الحكم من سياقه، والنظر إلى الجزء بمفرده ، فَمُفْضٍ إلى الفهم الناقص الذي لا يفصح عن المراد))[١٤].

فيتجلى إنَّ أهم أدوار تلك القاعدة هو تكوين صورة موضوعية يتحدد على وفقها معالم أي موضوع قرآنيًا، ففي مسألة شخصية النبي صلى الله عليه وآله مثلا تقوم القاعدة بجمع ما يتعلق به من الآيات القرآنية وتحديد معالم شخصية النبي صلى الله عليه وآله الرسالية حتى لا يشذ عنها شيء، ولا يخرج عنها ما هو منها فتكون جامعة لصفاته، معبِّرة عن حقيقته، مانعة من دخول غيرها فيها، ثم يصار إلى اعتبار أو رد أي فهم وتصور على وفق تلك الصورة فإنْ وافقها أخذ به، وإنْ خالفها أُعرِض عنه.

٤- المصدر نفسه: ج ١ / ٩٣.

٥- أُقِرَّ هذا المنهج بقوة حتى تحول إلى قاعدة لا مناص من إعمالها في كُلّ عملية تفسير، ومن أبرز الآراء في ذلك الشأن حسب التسلسل الزمني هم الآتي:

أ- ابن عطية الأندلسي (ت٥٤١هـ): إذا لم نجد في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى ما صح وثبت عن الصحابة. المحرر الوجيز، ج١ / ١١ .

ب- الرازي (ت٦٠٦ هـ): إن تفسير كلام الله تعالى بكلام الله أقرب الطرق إلى الصدق والصواب . مفاتيح الغيب، ج١٠ /٨٢.

ت- ابن كثير (ت ٧٧٤هـ : والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه فإنْ لم تجده فمن السنة. تفسير ابن كثير، ج١ / ٤ .

ث- السيوطي (ت٩١١هـ): من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولاً من القرآن، فما أجمل منه في مكان فقد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر منه. الإتقان في علوم القرآن، ج٢ /٣٥١ .

ج- الطباطبائي (ت١٣٦٠هـ): (وكيف يتبين ما هو تبيان كل شيء بشيء دون نفسه.. وحاشا أنْ يكون القرآن تبيانا لكل شيء ولا يكون تبيانا لنفسه). الميزان في تفسير القران، ج١ / ٦ و ١١.

ح- الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ): بيان القرآن بالقرآن أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله من الله جل وعلا . أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج١ / ٣ .

خ- الخوئي (ت١٤١٣هـ): وسيجد القارئ أيضا أني كثيرا ما أستعين بالآية على فهم أختها، واسترشد القرآن إلى إدراك معاني القرآن، ثم أجعل الأثر المروي مرشدا إلى هذه الاستفادة. البيان في تفسير القرآن ١٣.

وغيرهم الكثير ممن عمل به ولم يصرح بحقيقته، وانتهجه ولم يلتفت إليه لارتكازه العلمي والاستدلالي أنّه طريق مأمون لا عثار في نتائجه ولا زيغ في دلالته.

٦- ينظر: محمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ج١ /٨٩.

٧- الشريف الرضي، نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ٢١٩ ، خطبة ١٣٢ من خطبه يعظم الله ويذكر القرآن.

٨- المناوي، فيض القدير، ٦ / ٢٤٧ .

٩- العك، خالد عبد الرحمن، أصول التفسير وقواعده، ٧٩.

١٠- ينظر: د عبد الرحمن بن صالح الدهش، الأقوال الشاذة في التفسير، ٩٧ .

١١- الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج١ /٧ + الصغير، محمد حسين، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم / ٥٥.

١٢- الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١ / ١١.

١٣- ظ: الصغير، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم / ٩٢ + العك، خالد عبد الرحمن، أصول التفسير وقواعده / ٧٩.

١٤- د. قطب الريسوني، النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر / ٤٨٨.

كُلُّنا مسؤولون

غضران كامل كريم

مما لا شك فيه ولا غبار عليه أنْ يكون الإنسان -خليفة الرحمن- معنياً بتطوير ذاته، وتحمل ثقل أمانته التي قلدها الله تعالى جيده؛ لذلك يلزمه العمل الجاد من أجل النهوض بمسؤولياته، فلا يوجد أحد على وجه المعمورة معفي من تحمل المسؤولية، فليس هناك استثناءات عدا من فقد الأهلية، أي يكون أحد الأصناف الثلاثة التي حددها النبي الأكرم ﷺ عندما قال: (رفع القلم عن ثلاثة: عن الصبي حتى يبلغ، وعن النائم حتى ينتبه، وعن المجنون حتى يفيق)[1].

فالمسؤولية -حسب النظرة القرآنية- موضوع مهم وجوهري ومحوري، لا هامشي ولا ثانوي، هذا ما نستشفه من ورود هذه المفردة في غير ذات مرة ضمن النص القرآني، الأمر الذي يشير بوضوح على أهميتها في حياة البشر -أفراداً وجماعات-، فالمسؤولية وكما أقرَّها القرآن هي عامة وشاملة وواسعة ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ*عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2]، فالإسلام أراد أن يعمق هذا المفهوم الراقي في نفوس المؤمنين ويأصله في عقولهم، فلا بد أن يعرف كُلُّ فرد في المجتمع ما هي المسؤوليات المناطة به؟ وما هي حدود تصرفاته؟ وكيف يتعامل مع محيطه؟

١- الخلاف، الشيخ الطوسي، ج٣، ص٤١.

٢- سورة الحجر: الآيتان٩٢- ٩٣.

ولنا أن نقسم المسؤولية إلى ثلاث شعب:

أولاً: المسؤولية اتجاه الذات.

ثانياً: المسؤولية اتجاه الآخرين.

ثالثاً: مسؤولية الراعي اتجاه رعيته.

المسؤولية اتجاه الذات

من المعلوم أنَّ النفس الإنسانية عموماً لا تتغير فجأة، ولا تمتلك القدرة على القفز من درجات متدنية إلى درجات متقدمة ما لم يصمم ويصر الإنسان على ترويض ذاته وتربية نفسه، ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ..﴾[3]، فالنفس البشرية تحتاج إلى تهذيب وتربية ومراقبة مستمرة، فمن الخطأ والخطورة أن يترك لها الحبل على الغارب، فقد يؤدي ذلك بالإنسان إلى مزالق خطرة؛ لذلك نرى أنَّ الروايات الشريفة تحذرنا من مغبة السير الأعمى وراءها، فهي أمارة بالسوء، وحسب تعبير النبي الأكرم ﷺ: (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك)[4]؛ لذلك تكمن مسؤولية الإنسان العاقل الرشيد في مراقبة نفسه بشكل دائم، ومخالفتها عند مواضع الشر حتى لا يأتمر بأمرها وينتهي بنهاها عندما لا يرى ولا يسمع سواها، فمثل هكذا إنسان تكون نهايته الخسران والخذلان، ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا*قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا* وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[5]، من هنا يجب أن يأخذ الإنسان

٣- سورة الرعد: الآية١١.

٤- الوافي، الفيض الكاشاني، ج١٢، ص٢١٦.

٥- سورة الشمس: الآيات٧-١٠.

حذره، ويحاول جاهداً أن يخالف هواه، ويراقب نفسه ويحاسبها، ويأخذ بها حيث العلو والسمو، إذ ينتظره حساب دقيق لا يتوقف على حدود الأفعال والأقوال، بل يتعداه إلى النوايا، قال تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[6]، فيجب على الإنسان أن يكرم نفسه يوم وقوفه الوقفة المسؤولة، يوم ينادي المنادي: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[7]، لينجح في لحظة الامتحان الفاصلة، فكل إنسان مناط بعمله: ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾[8].

فالمسؤولية الذاتية تشمل كُلَّ جوارح الإنسان وجميع خلجاته العقلية والنفسية والجسمية، فهو مسؤول مسؤولية مباشرة عن كل جزء في كيانه، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾[9]، لذلك كانت جوارح الإنسان أدواته في عمله نحو الفلاح الدنيوي والأخروي، فأصبح من الطبيعي أن يكون لتلك الجوارح حق مستطال على صاحبها، لذلك كان من باب المسؤولية اتجاه الذات أن يسعى الإنسان وبشكل حثيث على الاعتناء بها وإكرامها وتهذيبها، فهي من تصنع الفارق في العمل، فعلى سبيل المثال كان القلب موضع نظر الإله، كون العمل المدعوم بإخلاص قلبي هو الذي يخرق الحجب السبعة وما سواه هو عناء بلا ثمر، لذلك أراد الإمام الجواد عليه السلام من الإنسان أن يسير إلى الله بقلبه لا بقدمه، فيقول الإمام عليه السلام: (القصد إلى الله تعالى بالقلوب أبلغ من إتعاب الجوارح بالأعمال)[10]، هكذا يشدد الإمام عليه السلام بأن تكون نية الإنسان قائمة بالخير مترعة بالنقاء، وإن عجز بدنه عن العمل والأداء، فالإمام يريد أن يرسل لنا رسالته التي مفادها: إنَّ باطن الإنسان يجب أن يكون أفضل من ظاهره، فالسرائر هي سيدة المواقف، ثم يُعرج الإمام عليه السلام على اللسان الذي يصفه بأنه أخطر الجوارح في الإنسان، كونه مجلباً للشقاء ومسبباً للعناء، فمن الممكن أن يلقى الإنسان مصيراً بالغ السوء بسبب عثراته، فقد ورد عنه عليه السلام: (مقتل الرجل بين فكيه)[11]، لذلك على الإنسان أن يكون حذراً في كُلِّ ما يخرج منه، فالمسؤولية مباشرة على كُلِّ مؤمن بترويض لسانه، وتعويده على رياضة طيب الحديث، وأن لا يتعرض إلى هتك حرمات الناس واغتيابهم والانتقاص منهم، والحال كذلك بالنسبة للسمع، فمن مسؤوليتنا أن نحافظ على أسماعنا ونعتني بتطهيرها وتنزيها، ولا نجعلها تلتقط كل ما يصدر عن ألسنة الناس، فيقول إمامنا أبي جعفر عليه السلام: (من أصغى إلى ناطق فقد عبده فإن كان الناطق يروي عن اللَّه فقد عبد اللَّه عز وجل وإن كان الناطق يروي عن الشيطان فقد عبد الشيطان)[12]. فمن خلال السمع ممكن أن نعبد الله أو نعصيه –والعياذ بالله–

والذي يمكن الإفادة منه مما تقدم: أنَّ المسؤولية الفردية أو الذاتية تكمن بالاهتمام في اكتساب الصفات الحميدة والأخلاق الكريمة، واجتناب المعاصي والذنوب التي نهى عنها الشرع المقدَّس، فنفس الإنسان أولى بالإصلاح وهي النقطة التي من عندها يبدأ التغيير الجماعي والمجتمعي، فيتحتم على المؤمن أن يراجع سلوكه وتصرفاته من وقت لآخر، بل في كل يوم وليلة كما ورد في الروايات الشريفة؛ لتقويم الأخطاء، وتنمي خصال الخير، وبذلك يصل بنهجه الحياتي إلى الحالة الأقوم والأهدى والأرشد والأنفع له ولمجتمعه ومحيطه، قبل أن تفوته الفرصة التي سنحت له في هذه الحياة، وحتى لا يفقد زمام المبادرة وتخونه إرادته –لا سمح الله– فتوقيت يوم القيامة مجهول لدى الإنسان، لذلك فيجب أن يكون على أُهبة الاستعداد دائماً وأبداً...

للمقال تتمة

٦- سورة البقرة: الآية٢٨٤.

٧- سورة الصافات: الآية٢٤.

٨- سورة الإسراء: الآية١٣.

٩- سورة الإسراء: الآية٣٦.

١٠- ميزان الحكمة، العلامة محمد الريشهري، ج٤، ص٣٥٩٨.

١١- شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي، ج١٢، ص٤٣٤.

١٢- الوافي، الفيض الكاشاني، ج٤، ص١٩٦.

خصائص حقوق الإنسان وفق المنظور القرآني

م.د خمائل سامي/ كلية التربية/ الجامعة المستنصرية/قسم علوم القران/ أصول الدين

تتميز الشريعة الإسلامية بخصائص تميزها عن غيرها على اختلاف أنواعها، ومن أهم هذه الخصائص أنّها من عند الله عز وجل، وأنّها تتصف بالشمول والخلود، ولها نزعة جماعية، وكما أنّها لها خصوصية الوسطية والاعتدال، فنجد خصائص مميزة لمبادئ "حقوق الإنسان في القرآن"، فمن ذلك:

❖ ربانية المصدر: إنَّ مصدرها الوحي المتمثل في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية فهي منحة ربانية أوجبها الله للإنسان، وليست من مخلوق لبشر مثله، يمنُّ بها عليه متى شاء، أو يمنعها إذا شاء[1]، وهذا الأمر يترتب عليه بعض الأمور ومنها:

– الشمولية والإيجابية التي تخرج بها عن الشكلية والجزئية؛ لأنَّ الله تعالى خالق الإنسان وهو أعلم بحاجاته الحقيقية[2].

– إن الفكر الإسلامي لا يعتقد أن الإنسان" خلق حرا، وإنما خلق ليكون حرا "، لأنه قبل الشرع لم يكن شيئا مذكورا، وبالتكليف والمسؤولية أصبح ذا قدر وشأن بنص الكتاب العزيز[3].

❖ إنّها تنبع من التكريم الإلهي للإنسان، والقيام بهذه الحقوق، هو جزء من دين المسلم وعبوديته لله تعالى، وأمر مستقر في فطرة الإنسان التي فطره الله عليها[4].

❖ الشمول: فهي محيطة بكُلّ مصالح الإنسان العاجلة والآجلة، ومحمية بتشريعات تربوية ووقائية وأحكام تكليفية، أي: إنّها شاملة لجميع أنواع الحقوق الاجتماعية والمالية والسياسية والشخصية وغيرها، وعامة لكُلّ أصناف المجتمع.

❖ الثبات: فمهما تعرض الناس للتضليل عن طريق خلط الحق بالباطل تبقى حجة الحق قوية الإقناع بالفطرة، أي: إنّها ثابتة لا تقبل الإلغاء ولا التبديل ولا التغيير؛ لأنّها جزء من الدين، ولأنّها فرض من رب العالمين، الذي حفظ الشريعة المقدسة، قال تعالى : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[5].

❖ إنّه يترتب على أدائها الجزاء والثواب، وعلى التقصير فيها: الحساب والعقاب، ذلك أنها واجبة ملزمة.

❖ إنّها أحيطت بضمانات لحمايتها من

١- حقوق الإنسان في الإسلام، ينظر: سليمان بن عبد الرحمن الحقيلي، ص٥٣.

٢- الحريات العامة في الدولة الإسلامية، ينظر: الغنوشي: راشد: ص ٤١ -٤٢

٣- دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر، ج١، ص١٠٥.

٤- حقوق الإنسان في الإسلام ، محمد الزحيلي، ص١٣٢-١٣٣.

٥- سورة الحجر: الآية ٩.

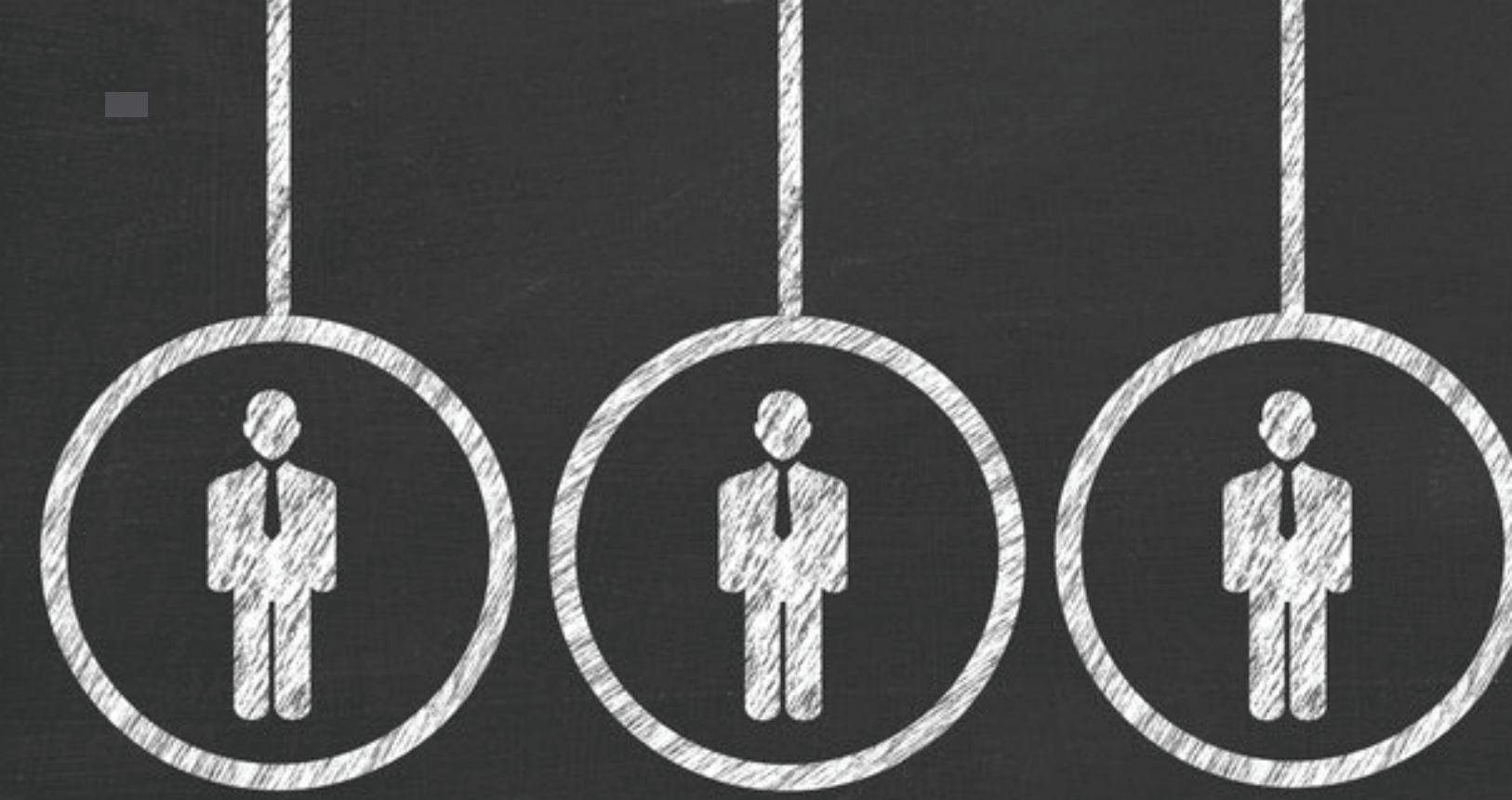

الانتهاك[٦]، تتلخص في: إقامة الحدود الشرعية، وتحقيق العدالة المطلقة.

❖ خلود الشريعة الإسلامية: إنّها شريعة خالدة لم تأتِ لوقف من دون وقت، أو لعصر دون عصر، أو لزمن دون زمن، وإنّما هي شريعة كُلّ وقت، وكُلّ عصر، وكُلّ زمن.

❖ الشريعة الإسلامية جزءان دنيوية وأخروية: تتميز الشريعة الإسلامية في كونها لها نوعان من الجزاء يثيب ويعاقب في هذه الدنيا، بل أنَّ جزاء الآخرة هو الأعظم، بخلاف القانون الوضعي الذي لايحترم فيه إلا جانب الجزاء الدنيوي، فالشريعة الإسلامية أصلح نظام وأعدله بالإضافة إلى مرجعها بين أحكام الدنيا والآخرة مما يضمن لهما الاستمرار.

❖ الحياد: فهي منزهة عن أي تحيز أو تمييز عرقي، وكذلك عن أي عن هوى.

❖ العالمية: فهي صالحة لكل زمان ومكان لاستجاباتها حاجات الإنسان الحقوقية الفطرية، ووضعها حلولاً لأغلب مشاكله.

❖ الوسطية: ويعني بها التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متصلين، فالتطرف مذموم في الشريعة الإسلامية، والاعتدال هو الأليف بالمجتمع الإسلامي[٧].

❖ التدرج في التشريع: ولعل الحكمة في التدرج في التشريع قد تكون للتيسير على المكلفين والتخفيف عليهم، حتى يكون أدعى إلى القبول والامتثال، كما أنَّ في هذا التدرج مراعاة للحفظ والمعرفة والاستيعاب.

❖ مراعاة المصلحة: إنَّ مصالح العباد إما بدرء مفسدة أو جلب مصلحة[٨] وإنَّ رفع الحرج وقلة التكاليف والتدرج في التشريع والنسخ وغير ذلك ضروب من المصلحة التي راعتها الشريعة الإسلامية، ثم إنَّ مصالح العباد تتعلق بأمور ومقاصد ضرورية أو حاجية أو تحسينية، فما يختل بها نظام الحياة ولا قيام لحياة الناس بدونها هي الضروريات مثل : حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال.

❖ رفع الحرج وقلة التكاليف: التكاليف الشرعية مرتبطة بالوسع والرحمة بالخلق، فلم تشرع من الأحكام ما يثقل كواهل المكلفين بالأوامر والنواهي: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[٩]، حيث تجلت هذه الرحمة في كل تشريعات الإسلام في العقيدة والعبادة والمعاملة والأخلاق. ومن دواعي هذه الرحمة في التشريع عدم الحرج وقلة التكاليف[١٠]: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾[١١].

❖ محفوظة عن التبديل والتغير، وذلك لكونها الشريعة الخاتمة فتكفل الله عز وجل بحفظها.

❖ لها نظامها المستقل فلا علاقة لها بالتشريعات البشرية، وتتميز بروعة الأسلوب الذي صيغت به وجماله، فهي تخاطب العقل والقلب معا.

❖ حاكمة على كل تصرف من تصرفات الإنسان في هذه المراحل كلها، بالوجوب، أو الحرمة، أو الكراهية، أو الندب، أو الإباحة، وفي كل مجالات الحياة من عملية، وعقائدية، وأخلاقية.

❖ واقعية: حيث راعت كل جوانب الإنسان البدنية، والروحية الفردية، والجماعية، كما راعت التدرج في مجال التربية.

❖ صلاحيتها لكل زمان و مكان[١٢].

أذن تتميز حقوق الإنسان في الإسلام بخصائص عديدة منها: ربانية، منضبطة، ملزمة، ثابتة، شاملة وخالدة ، وثابتة صالحة لكل زمان ومكان، ووسطية ومحفوظة من التحريف والتبديل مراعيه لمصالح العباد وفيها رفع الحرج والتدرج في الأحكام، فهي حاكمة وربانية المصدر والغاية، وذلك أهم ما يميزها عن القوانين الوضعية.

٦- حقوق الإنسان في الإسلام، سليمان بن عبد الرحمن الحقيلي، ص٨٩

٧- بحث حقوق الإنسان وتأصيل فكرته في التشريع الإسلامي، مايا نجيب عمار، وبحث تأصيل حقوق الإنسان في القرآن والسنة، إشراف، عبدالله إبراهيم زيد الكيلاني:٤٢.

٨- قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، العز بن عبد السلام، نزيه كمال وآخرون ،ج١، ص٩.

٩- سورة الأنبياء: الآية : ١٠٧.

١٠- عثمان بريقدار: محاضرات المدخل لدراسة الشريعة جامعة وادي النيل -٢٠١٠م :٤١ .

١١- سورة المائدة: الآية :٦.

١٢- علم أصول الفقه وتاريخ التشريع الإسلامي، أحمد إبراهيم، ص٣٣.

القرآن الكريم وحركيّة التذكير بأنعم الله

عامر عزيز الأنباري

القرآن الكريم كتاب هداية وإصلاح، فلا يخلو موضع من مواضعه من حكمة بالغة وإرشاد وتذكير، وكلما ازدادت الحاجة والأهمية في مضاعفة التذكير فيما ينفع الناس، وخصوصاً بما أسبغ عليهم الله سبحانه من خيرات ازداد معهما التأكيد والتكرار والزيادة في النصح والتحذير من ارتكاب المعاصي، ومن هنا كان لمعاودة الحثّ على ذكر أنعم الله سبحانه والشكر على ما تفضل به على عباده وفداحة جحود فضله من الأهمية ما يستدعي التوقف للتعرف على كيفية العرض القرآني، وحركية النص واستخداماته المختلفة بحسب ما تقتضيه الضرورة وطبيعة البيئة واختلاف وتنوع الأمم والمجتمعات.

لكل أمة لغة وخطاب مختلف

إنَّ القرآن يتحدث بلغته الإصلاحية وعِبَره وعظاته التي اختزل بها ما جاءت الأديان والرسالات السماوية كافة، وبسرد ما جرى على أنبياء الله ورسله في ميادين الصراع بين الحق والباطل، فهو يعطي أنماطاً وأمثلة في كيفية المحاججة والإقناع التي كان يُحاور بها الأنبياء والرسل الناس مَنْ حولهم، والتي كانت تنسجم مع طبيعة تلكم الأمم وظروفها، فلكل أمة أسلوب وأدلة خاصة، وتلك الأدلة تستل من صميم واقعهم ومما أسبغ عليهم من خيرات، والتي من المفترض أنْ تكون مدعاة لشكرهم لله تعالى ولزوم طاعته، فقوم هود مثلاً كان نبيهم صالح يدعوهم إلى طاعة الله مذكراً إيّاهم بوفرة ما أتيح لهم من نعمٍ فكان عليهم أنْ يشكروا الله عليها، وليس عكس ذلك مما يذكره القرآن من تعاليهم وعبثهم، ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾، ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ

تَخْلُدُونَ﴾[1]، ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[2]، ويتكرر النمط القرآني في التذكير وتصوير ما حلَّ بمن مضى من الأمم غير أنَّه يأتي بأنماط وأساليب وأمثلة مختلفة -كما قلنا- تتماشى مع طبيعة تلكم الأمم وظروفها المختلفة، فنرى أنَّه تبارك تعالى كان يُذكِّر بني إسرائيل بما أنعم عليهم من نعم جمة وبما أغدق عليهم من التفضيل والرعاية بعد أنْ عانوا من بطش فرعون وهامان وجنودهما، ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[3]، وقوله تعالى لهم: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[4]، كما أنّ من نعمه عليهم أنه علّم نبيهم النبي داود عليه السلام صنعة لبوس للحرب تقيهم من بأس القتال وشدته ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾[5].

وحين يأتي الحديث عن المشركين في مكة يُذكِّرهم ربهم بما أسبغ عليهم من خيرات، وكيف أنه جعل من البيت الحرام وهو في وادٍ غير ذي زرع قبلة للناس يسعى إليه الحجيج، وكيف أنعم على القرشيين بالتجارة ورحلتي الشتاء والصيف، فأصبحت مكة مركزاً للتجارة في الجزيرة يحوطها الأمن والأمان من الغزو في وقت كان فيه السلب والنَّهب والإغارة مما هو شائعٌ في بلاد العرب وصحرائها ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾[6]، كما وينتقل النص القرآني بحركيته إلى خشونة الصحراء، فيُذكِّر عرب الجزيرة بما كمُن من أسرار عظيمة في خلق الإبل ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[7]، ويُذكِّر بما فيها من منافع في حِلِّهم وترحالهم، وكيف أنَّ هذا المخلوق الصحراوي أعدَّ إعداداً مُتقناً لِتحمُّل مَشاقِّ السفر وتجاوز المسافات البعيدة بالأحمال والمتاع مع قلة الماء والكلأ ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ﴾[8]، ويتعامل القرآن بانسيابية رائعة في التنقل بين ظروف البداوة والحضر، ومن أجواء الصحارى وضراوتها إلى اخضرار القرى والأرياف، فتكون الحجة ودليل الإقناع متماشياً مع ما يرفل به أهلوها من نمو في الزرع والحرث، فيضرب الله الأمثال المستلة من واقعهم المعيشي زيادةً في وعظهم وتذكيراً بما مَنَّ عليهم، ودعوةً وحثاً لهم على الإنفاق في سبيل الله، والحصول على الأجر الذي ينمو ويتضاعف، كما ينبت الحب ويتضاعف في سنبله، يقول سبحانه: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ * وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ * وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[9].

غزارة النعم وانعدام الإحساس بها

إنّ من غزارة ما نحاط به من نعم يجعل الإحساس بها معدوماً في أغلب الأحيان، وهذه الوفرة مقرونة بمدى الحاجة، فمن المعلوم أنَّ مدى احتياجنا إلى الهواء واستنشاق الأوكسجين الذي في انقطاعه لمجرد دقائق معدودات يعني الهلكة جعلته في المرتبة الأولى في الوفرة، فهو مبذول بالقدر الذي لا يدعنا مجرد التفكير به، ولا يقتضي الحال السعي للحصول عليه، والاحتياج إلى الماء بنسبة أقل جعلته بأقل وفرة من الهواء، وهو مع ذلك يشكل ثلاثة أرباع سطح الكرة الأرضية، وهذه النسب متدرجة ومقدرة تقديراً دقيقاً لا يحتمل الزيادة أو النقصان، فزيادة نسبة الأوكسجين يؤدي إلى احتراق كل شيء، فكلُّ شيء بحساب ومقدار، المهم أنَّ تلكم النعم تغمرنا وتحيط بنا من كلِّ جانب إلا أننا نفقد الإحساس بها، ولذلك يوصينا أمير المؤمنين عليه السلام أنْ تكون قراءتنا للقرآن وعبادتنا بتدبر وتفكر فيقول: (ولا خير في قراءة إلا بتدبر، ولا في عبادة إلا بتفكرٍ)[10].

حركية النص عبر الأزمنة

تستمر حركية النص القرآني وتنوعه بكثرة التكرار، والتأكيد على وفورة أنعم الله على خلقه، وتتجاوز تلك الحركية حدود الزمان والمكان، وتتجدد لتكون موازيةً لكلِّ ما يطرأ على الإنسانية من تطور وتغيير عبر الأزمنة، وذلك من خلال الإشارات القرآنية الرائعة التي تفصح عن خفايا وأسرار، تتضح للناس كلما تقدمت البشرية وقطعت أشواطاً جديدة في العلم والحضارة والمعرفة يقول سبحانه:﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[11] فالمكتشفات العلمية بأنواعها أخذت تعطي كُلَّ يوم دلائل جديدة على قدرة الله وعظمته ولطفه بعباده والكم الهائل الذي أحاطهم به من النعم في دقة خلق الانسان وخلق الموجودات من حوله التي أبدع في خلقها كي تحقق للإنسان النفع والخير ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[12].

النعم وما فيها من ظاهر وباطن

إن النعم التي تحيط بنا ليس لها حدود ولا يمكن حسابها ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[13]، كما أنّ القرآن يعاود التذكير أنَّ هناك من النعم فمنها ما هو ظاهر ومنها ما هو باطن، ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[14] فالظاهر منها ما تحسونه إحساساً مادياً ملموساً تدركه حواسكم وتستشعره أبدانكم، ومنها ما يتعدى تلكم الحواس، فتظهر تأثيراته المعنوية البالغة على النفوس، فالوحدانية والإقرار بالعبودية لله جل وعلا واتباع الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بيته الأطهار عليهم السلام من أَجلِّ النعم وأفضلها، وهو تبارك وتعالى يذكر ويحذر في الوقت ذاته من تجاهل هذه النعم المعنوية التي يجحدها المنافقون الذين دخلوا في الإسلام تحقيقاً لمآربهم الدنيوية وهم يمنون على النبي إسلامهم ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[15]، والتذكير بأنعمه التي من هذا النوع تختلف في طبيعتها وأسلوبها عندما يكون الخطاب القرآني موجهاً للذين آمنوا ففيه من الحلاوة والطرواة ما يشد به أزر المؤمنين، ويزيد في مدّهم بالعزم، والدعوة إلى الألفة والاتحاد ضد عدوهم المشترك، ليكونوا أولي منعة وتقوى شوكتهم، وفي الوقت ذاته ليكونوا أنموذجا يقتدي به أخلافهم من الصلحاء يقول سبحانه: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾[16].

١- سورة الشعراء، الآيتان ١٢٨- ١٢٩.
٢- سورة الشعراء، الآيات ١٣٢- ١٣٤.
٣- سورة البقرة، الآية ٤٧.
٤- سورة البقرة، الآية ٥٧.
٥- سورة الأنبياء، الآية ٨٠.
٦- سورة قريش، الآيات(١،٢،٣،٤).
٧- سورة الغاشية، الآية ١٧.
٨- سورة النحل، الآية ٧.
٩- سورة البقرة، الآية ٢٦١.
١٠- نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، الشيخ المحمودي، ج٣، ص١٣٣.
١١- سورة فصلت، الآية ٥٣.
١٢- سورة المؤمنون، الآية ١٤.
١٣- سورة النحل، الآية ١٨.
١٤- سورة لقمان، الآية ٢٠.
١٥- سورة الحجرات، الآية ١٧.
١٦- سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

أَرْذَلُ العمـرِ في المنظور القرآني

وفق التدبير الإلهي المحكم لشؤون العباد، فإنَّ معالم القوة الذهنية والبدنية للمرء لا تظل على وتيرة واحدة، بل تتباين كلما تقدم في العمر، وتبرز قدراته وطاقاته في مرحلة الشباب ثم تتناقص تدريجياً وصولاً إلى (أَرْذَلِ الْعُمُرِ) الذي أشارت إليه بعض الآيات منها قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لاَ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾[1].

ففي هذه الآية الكريمة تنبيه صريح للمؤمنين، في ضرورة أخذ الحيطة والحذر وتكريس سنين العمر في العمل لمرضاة الله عز وجل، وتقلد مفاتيح السعادة قبل فوات الأوان، لذا جاء في تفسير التبيان عن معنى هذه الآية: (هذه الآية فيها تعديد لنعم الله تعالى على عباده، شيئاً بعد شيء، ليشكروه عليها، وبحسبها يقول الله: إني أنا الذي خلقتكم وأخرجتكم من العدم إلى الوجود وأنعمت عليكم بضروب النعم، دينية ودنيوية، ثم الذي خلقكم يتوفاكم ويقبضكم أي يميتكم ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ وهو أرداه وأوضعه، يقال منه: رذل الشيء يرذل رذالة، وأرذلته أنْ إرذالاً يريد به حال الذم. وقيل إنَّه يصير كذلك في خمس وسبعين سنة - في قول علي ﷺ وقوله ﴿لِكَيْ لاَ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ إخبار منه تعالى أنَّه إنَّما يَرُدُّه إلى أرذل العمر، ليرجع إلى حال الطفولية بنسيان ما كان علم للكبر، فكأنَّه لا يعلم شيئاً مما كان علم. وفي ذلك أعظم دلالة وأبين اعتبار على قادر مصرف للخلق من حال إلى حال)[2]، ولا يخفى على كُلِّ لبيب من البشر أنَّ محصلة المكتسبات العلمية تزاد وفرة عند الاستزادة من النبع الصافي (الثقلين)، فالعلم خير وقاية ورفعة مقام لأصحابه كما قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[3]، وجاء التأكيد في سورة الحج بشأن بلوغ البعض مرحلة (أَرْذَلِ الْعُمُرِ) منها في الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿وَمِنكُم مَّنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾[4]، والتي جاء في تفسيرها: (إنَّ أرذل العمر هو الذي يبلغ مئة عام وأكثر، وقد تعني هذه العبارة نوع الأشخاص، وإلا فهناك مَنْ يبلغ هذه الحالة وسنُّهم أقل مئة عام، كما أنَّ هناك أشخاصاً تجاوزت أعمارهم مئة عام وهم بكامل وعيهم وذكائهم.

١- سورة النحل : الآية ٧٠.

٢- التبيان في تفسير القرآن: الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي،ج٦، ٣٩٩.

٣- سورة المجادلة : الآية ١١.

٤- سورة الحج: الآية ٥.

وتندر مشاهدة مَنْ يصابون بهذه الحالة بين العلماء الذين شغلتهم المعارف والبحوث، وما أولانا بدعاء الله تعالى أنْ يحفظنا من هذه الحالة! وما أجدرنا أنْ ننهي غرورنا وغفلتنا بمجرد الفكر بهذه العاقبة! علينا أنْ نفكِّر ماذا كُنَّا وعلى ماذا أصبحنا وماذا سنكون؟)[5]، وما نشاهده في عصرنا من شيوع بعض الأمراض التي توهن فكر الأفراد عند تقدم العمر يؤكد الحقائق القرآنية، ولعل أبرز الأمراض شيوعاً هو مرض (الزهايمر)[6]، الذي سمي بـ(الخرف الكهلي)، فهذا المرض تندثر فيه الكثير من المعلومات المكتسبة من حقل التجارب ويشهد كبار السن من المصابين بحالة من الانتكاسة الفكرية، وهو ما تم الاشارة إليه في قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾[7]، حيث جاء في تفسيرها: (تشير إلى وضع الإنسان في آخر عمره من حيث الضعف والعجز العقلي والجسمي، لتكون إنذاراً لهم وليختاروا طريق الهداية عاجلاً، ولتكون جواباً على الذين يلقون بمسؤولية تقصيرهم على قصر أعمارهم، وكذلك لتكون دليلاً على قدرة الله سبحانه وتعالى، فالقادر على أنْ يعيد ذلك الإنسان القوي إلى ضعف وعجز الوليد الصغير، قادر على مسألة المعاد بالضرورة، وعلى الطمس على عيون المجرمين ومنعهم عن الحركة (ننكِّسه) من مادة (تنكيس) وهو قلب الشيء على رأسه)[8].

فقد حرص ديننا الإسلامي على إعزاز المؤمن وديمومة قوته ووجاهته، وأحاطه بهالة من التوقير، وألزمه العمل ببعض التوصيات، مثل وصية نبيه الأكرم ﷺ التي قال فيها: (بادر بأربع قبل أربع: بشبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل مماتك)[9].

٥- الأمثل في تفسير كتابِ اللهِ المُنزَل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج١٠، ص٢٨٩-٢٩٠.

٦- الزهايمر: داء يصيب المخ ويتطور ليفقد الإنسان ذاكرته وقدرته على التركيز والتعلم.

٧- سورة يس: الآية ٦٨.

٨- الأمثل في تفسير كتابِ اللهِ المُنزَل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي،ج١٤، ص ٣٢٤.

٩- ميزان الحكمة: محمد الريشهري، ج ٣، ٢١١٢.

ظهار الزوجة
مُنكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا

حقوق المرأة أحد الموضوعات التي تناولها القرآن الكريم وبشكل مفصل، حيث أولاها اهتماماً بالغاً موازياً لما كان يجري عليها من ظلم واضطهاد وتهوين، فقد عاشت المرأة قبل الإسلام عيشة ضنكاً، عند بعض قبائل العرب فلقد كانوا يجردوها من الحقوق ولا يَروها أكثر من كونها مؤنسة ولودة

رغد عزيز

فقد جاء في آيات الذكر الحكيم تبيان واضح لحقوق المرأة كاملة، فمنها ما جاءت بشكل خاص وأخرى ضمن الخطاب الجماعي وهي تلك التي اشتركت بها مع الرجل، وتعد إحدى الخطابات المباشرة تلك التي عالجت حقها في حفظ كرامتها ومكانتها في بيت الزوجية، ومما جاء في هذا إنكار القرآن الكريم مظاهرت الرجال لزوجاتهم، والظهار أحد أفعال الجاهلية وجاء فيه بأنه: (من طلاق أهل الجاهلية)[1]، أما في صيغته أنْ يقول الرجل لزوجته: (أنتِ عليَّ كظهر أمي)[2] وهي بذلك قد (حُرّمت عليه آخر الأبد)[3]، وفيها أنزل الله تعالى حُكمه في سورة المجادلة، بعد أنْ أتت إحدى نساء المسلمين تشكو لرسول الله ﷺ ما حلّ بها، حيث جاء في قصتها: (أنْ ظاهر رجل من الأنصار امرأته ثم ندم عليه، فجاءت امرأته إلى رسول الله ﷺ تسأله فيه لعلها تجد طريقاً إلى رجوعه إليها وتجادله ﷺ في ذلك وتشتكي إلى الله)[4]، وهنا لم يعط رسول الله حُكمه في مسألتها إذ لم يرد له نص إلهي فيها: (فقال لها ﷺ: ما أنزل الله تبارك وتعالى عليَّ كتاباً أقضي فيه بينك وبين زوجك، وأنا أكره أنْ أكون من المتكلفين: فجعلت تبكي وتشتكي ما بها إلى الله عز وجل، وإلى رسول الله ﷺ وانصرفت)[5] حينها نزل حكم الله تعالى في آيات مبينات إذ قال جل وعلا: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ* الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ* وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ* فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[6]،* ومن هنا أخذ ﷺ يبين للناس هذا الأمر وبيان قبح الظهار ويملي عليهم حكم الله فيه بشكل مفصل (فبعث رسول الله ﷺ إلى المرأة فأتته، فقال لها: جيئيني بزوجك فأتته به، فقال له: أقلتَ لامرأتك هذه: أنت عليَّ حرام كظهر أمي؟ قال: قد قلت لها ذلك، فقال له رسول الله ﷺ: قد أنزل الله عز وجل فيك وفي امرأتك قرآناً، فقرأ عليه ما أنزل الله من قوله،{وقال له} فضم امرأتك إليك، فإنك قد قلت منكراً من القول وزوراً قد عفا الله عنك وغفر لك، فلا تعد، فانصرف الرجل وهو نادم على ما قال لامرأته)[7]، ونلاحظ أنَّ مع تعدد الأحكام في الآية الكريمة والتي تلخصت بتحرير رقبة أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكيناً غير أنَّ جميعها أحكام صعبة ليست بالهينة أو السهلة التي يمكن لأي شخص الإتيان بها ـــ خصوصاً آنذاك ـــ وهذا التشديد إنما جاء لإلفات الأفهام إلى عظم حق الزوجة في حفظ كرامتها من قبل زوجها، فهي بالدرجة الأولى إنسانة والله عز وجل حفظ للإنسان كرامته وأوجب على الآخرين إحترامه، فضلاً عن أنّها زوجته وأم أولاده ومقامها هذا يفرض على الزوج تقديم الاحترام والتقدير لها.

١- تفسير مجمع البيان: الشيخ الطبرسي، ج٩، ص٤٠٩.

٢- تفسير نور الثقلين: الشيخ الحويزي، ج٥، ص٢٥٤.

٣- المصدر نفسه.

٤- الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي، ج١٩، ص٢٠.

٥- البرهان في تفسير القرآن: السيد هاشم البحراني، ج ٥، ص٣١١.

٦- سورة المجادلة: الآيات ١ـ ٤.

* المراد بالسمع في قوله: "قد سمع الله" استجابة الدعوة وقضاء الحاجة من باب الكناية وهو شائع، والدليل عليه قوله: "تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله" الظاهر في أنها كانت تتوخى طريقاً إلى أنْ لا تنفصل عن زوجها ، وأما قوله: "والله يسمع تحاوركما" فالسمع فيه بمعناه المعروف.

القرآن والبيئة

لقد تعددت أوجه الإعجاز في القرآن الكريم، وصار مدعاة لإيمان الكثيرين ودخولهم في الإسلام، ومن ضمن الموارد ما أخبر به القرآن الكريم عن أمور كانت من المغيبات عن البشر حين نزول القرآن، وسنورد بعضاً منها:

الاقتران (التزويج):

تحدثَّ القرآن الكريم عن تركيب الكائنات كلها بشكل أزواج، إذ جاء في قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1]، وجاء أيضاً: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾[2]، وبيّنت الآية الكريمة كذلك في قوله تعالى: ﴿فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾[3]، والآية الكريمة: ﴿وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[4]، فكل ما في الكون مركب من زوجين إلا هو الأحد الصمد تبارك وتعالى عن الزوجة والولد، يؤكد العلامة الشيرازي في تفسيره الأمثل، والطباطبائي في الميزان، وآية الله الخوئي في البيان هذا الأمر بأنه من أبعاد الإعجاز الذي أخبره القرآن الكريم عن الغيب؛ لأنَّ النبات كان حينه غيب على الناس في هذه الجزئيات، فهم يعرفون ظاهر النبات، ويشهدون لقاحه، ويأكلون ثمره، لكنهم لا يعرفون تركيبه، وأنّه مركب من ذكر وأنثى ﴿وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾[5]، كما أنَّ كُلّ شيء فيها مركب من زوجين وبمعايير متوازنة إذ قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾[6]، وكما أنَّ طريقة تلقيح النبات يكون عبر نقل اللّقاح بالرياح كما جاء في الوصف القرآني: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾[7].

١- سورة الذاريات، الآية ٤٩.
٢- سورة يس، الآية ٣٦.
٣- سورة المؤمنون، الآية ٢٧.
٤- سورة ق، الآية ٧.
٥- سورة الرعد، الآية ٣.
٦- سورة الحجر، الآية ١٩.
٧- سورة الحجر، الآية ٢٢.

حقيقة الماء سر الحياة:

ومن الحقائق الإعجازية ما جاء عن الماء أنَّ عنصر الحياة للمخلوقات إذ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[٨].

٨- سورة الأنبياء، الآية ٣٠.

حقيقة الحيوانات أمم أمثالنا:

أظهر القرآن الكريم حقيقة أنَّ الدواب في الأرض هم أمم كالبشر، إذ قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[٩]، الحيوانات تتزاوج وتتواصل وتبني البيوت... وتحشر أيضًا إذ جاء في قوله: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾[١٠].

التراب:

جاء في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١١].

حقائق أخرى

* ذخائر في جوف الأرض:

بَيَّن الإمام الصادق ﷺ في نظريته عندما حدث المفضل قائلاً: (فَكِّرْ يا مفضل في هذه المعادن وما يخرج منها من الجواهر المختلفة مثل الجص، والكلس، والجبسين، والزرانيخ والمرتك، والقوينا، والزيبق، والنحاس، والرصاص، والفضة، والذهب ، والزبرجد، والياقوت، والزمرد، وضروب الحجارة، وكذلك ما يخرج منها من القار، والموميا، والكبريت، والنفط وغير ذلك مما يستعمله الناس في مأربهم . فهل يخفى على ذي عقل أنَّ هذه كلها ذخائر ذخرت للإنسان في هذه الأرض ليستخرجها فيستعملها عند الحاجة إليها؟)[١٢].

* فوائد العديد من النبات مثل (القمح):

قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[١٣]، حيث يحتوي القمح على أغلب الفيتامينات التي يحتاجها الإنسان بنسبة ٨٠٪ نشويات و ١٣٪ بروتينات وفي قشرتها مواد يحتاجها الإنسان وتحافظ على الحبة من عدم السوس.

عزيزي القارئ بعد أنْ تجولت في أروقة بعض الإعجازات في عالم خلق الله عز وجل، ووجدت التطابق بين خلقه وقرآنه أدعوك لاحترام البيئة والتعلم من مبدعها لتحصل على حلول تنفع بيئتك، وتعمر أرضك وبلادك.

٩- سورة الأنعام، الآية ٣٨.

١٠- سورة التكوير، الآية ٥.

١١- سورة فصلت، الآية ٣٩.

١٢- بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٥٧، ص١٨٦.

١٣- سورة البقرة: الآية ٢٦١.

لَنْ يَأْفَلَ نُوْرُهُ..

زينب حسين

عندما تذوب الشمعة المضيئة وتنطفئ، ويأفل النجم المتلألئ ويهوي، ويخسف البدر الساطع ويتوارى، فتخيلوا كيف ستغدو الليالي الحالكة، وكيف ستستمر الحياة إذا غابت شمسها، وانحجب نورها عن الأنظار.

هكذا أصبح حالنا بعد فقداننا للسند كبيت مظلم بدون عمد وسط صحراء قاحلة، فلا ماء يروي ظمأنا، ولا طعام يُشبع جوعنا، ولا فرحة تعيد ابتسامتنا، وصار الحزن والخوف حليف قلوبنا، والأمراض بدأت تنخر بأجسادنا، فكيف ستعيش امرأة أرملة ثكلى مع فتاة عليلة في هذه الظروف الصعبة؟ لقد علَّقتُ كُلَّ آمالي بابني الوحيد بعدما توفي والده، وصرتُ أنظر إليه وأتأمله وهو يكبـر ويكبـر، ويشتد عوده، ويزداد تعلقي به، وتترسخ ثقتـي به أكثـر وأكثـر؛ نظراً للصفات التـي كان يتميـز بها، من رجولة وشهامة،

وتحمل للمسؤولية، فضلاً عن رأفته وعطفه علينا، فكان اليد الحنون التي تمسح عنا همومنا وأوجاعنا، وتسقينا من فيض جودها حباً ورعايةً، وأماناً وأملاً وعطاءً.

وفجأة أراه وقد تلقفته أحضان المنية، سارقة مني كُلَّ حياتي لترديني صريعة الوحدة والحيرة، والخيبة والانكسار، نادبةً حظي المشؤوم صباحاً ومساءً، لطالما توسلت به وحاولت إقناعه بعدم الذهاب إلى جبهات القتال، فليس لنا غيره نعتمد عليه لكنه أصرَّ وبشدة على الالتحاق مع أصدقائه المؤمنين وتلبية نداء المرجعية للدفاع عن المقدسات، وهذا ما دعاني لمعاتبته ومخاصمته بشدة وخاصة بعد استشهاده، ومما يزيد من همومي وأوجاعي تلك الطفلة المريضة المقعدة، التي تحتاج إلى عناية ورعاية، وتغذية صحية ومصاريف إضافية للعلاج، والتي غادرت محياها البسمة، وانطفأ بريق الأمل الذي يعلو عيناها البريئتان بغياب أخيها الذي كان يحبها كثيراً ويلاعبها، ويخفف من آلامها وقد وعدها بأنْ يتفكل رعايتها حتى تتماثل للشفاء، لكن أنى لأحلامها البسيطة أنْ تتحقق وقد أوأدها القدر!!

وذات يوم فزعت على صوتها وهي تصرخ وتناديني: (أماه، ها هو أخي يطلب مني أنْ ألحق به، هيا لنذهب إليه في الحال)، لم أستطع حبس دموعي وحاولت تهدأتها، لكن من دون جدوى، فهي مُصِرَّة على الخروج، يا ويلي وكأنها فقدت صوابها، أنا لا ألومها فوقع الصدمة عليها كبير، خضعتُ لطلبها، ووضعتها في كرسيها المتحرك، وكأنَّها هي التي تقودني وتدلني على الطريق، وأنا أسير من دون وعي، والخيبة واليأس كسحابتين مظلمتين تخيِّمان على قلبي، وترتسمان على وجهي، حتى أوصلتني إلى طريق السائرين إلى كربلاء لنسير معهم وهي ما زالت تؤشر بيدها كقطب المغناطيس الذي ينجذب ويبحث عن قطبه الآخر، متخيلة بأنَّ أخاها يسير أمامها، والفرحة تغمر قلبها الصغير، لقد جُنَّت هذه الفتاة حتماً لتضاف إلى قائمة المآسي التي أُعانيها!!

جلستُ قليلاً لأهدأ تلك الأقدام التي صرخت من الألم، وأُجهدت من كثرة التعب والسعي والسير المتواصل، وهي تجبرني على النهوض وتلحُّ عليَّ حتى انفجرت بالبكاء والنحيب، وهذا ما جعل السائرون يستعطفون حالنا، وبدؤوا يتصدقون علينا، ويرمون الأوراق النقدية ظناً منهم بأننا متسولتان، ليعتصر قلبي حزناً وألماً، وتصرخ هي منتفضة وقد رمت تلك الأوراق من أحضانها: (أخي، أخي، تعال وأخبرهم بأننا لسنا من الذين يستجدون المال)، وما زالت تصرخ وتبكي حتى أغمي عليها، وأصبحت كالجثة الباردة الهامدة، بالكاد استجمعتُ قواي التي انهارت عندما ظننتُ بأنها قد فارقت الحياة، وأخذ الزائرون وأهالي المواكب بتلاقفها من يدي وإسعافها، حتى استعادت وعيها، ونطقت وصاحت والدموع تنهمر من عينيها: (أماه، أماه، أبشري لقد شفيت وأريد النهوض)، فأسرعتُ لأحملها لكنها رفضت وقالت: (دعيني أخطو لوحدي ولا تسنديني)، فقلتُ في نفسي يا إلهي إنها تهذي أو ربما تحلم، وفجأة رأيتها وهي تنهض وتقف على قدميها وتخطو لوحدها، فضجَّ مَنْ كان حولنا بالصلاة على النبي ﷺ والتهليل والتكبير، والكل يريد أنْ يعرف قصتها، وهي تخاطبهم بدموع الفرح والسرور، إنه أخي الشهيد..إنه أخي الشهيد، وهويت أنا ساجدة لله شكراً، حتى ارتمت في أحضاني، وذرفنا سوية دموع الفرح وقالت لي: ألم أقل لكِ يا أماه بأنَّ أخي لم ولن يتركنا أبداً ولم يأفل عنا نوره، فقد رأيته ووجهه كالقمر يسير مع قوافل الشهداء في طريق يؤدي إلى الجنة، وقد حملني وقال لي: سآخذك إلى مَنْ سيكون سبباً في شفائكِ، وأفي بوعدي لكِ، حتى وصلنا إلى قصر فخم يتوسطه سيد الشهداء وأخوه أبو الفضل العباس عليهما السلام فرحبا بي أشد الترحيب بقولهم: (أهلاً بأخت الشهيد، ومسحا على قدماي وقالا لي قومي بإذن الله تعالى فقد شفيت تماماً)، ثم خرجت مسرورة أمشي على قدماي أنا وأخي، وتحدثنا كثيراً وهو يسلم عليكِ، ويناشدكِ بأنْ تتيقني بقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

١- سورة آل عمران، الآيات: ١٦٩- ١٧٠.

قصة يوسف عليه السلام
مع زليخا

الشيخ طه حافظ خميس

لما ألقى أخوة يوسف أخاهم في الجب وكان ابن تسع سنين، ذهبوا إلى أبيه بقميصه ملطخاً بدم شاة ذبحوها، وكانوا قد عزموا على قتله، فقرروا ذبحه وتركه تحت الشجرة، ويأكله الذئب ليلتها، فقال كبيرهم: ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾. فانطلقوا به إلى الجب فألقوه فيه وهم يظنون أنه يغرق فيه، فلما صار في قعر الجب ناداهم. فلما سمعوا كلامه قال بعضهم لبعض: لا تبرحوا من هاهنا حتى تعلموا أنه قد مات، فلم يزالوا عند الجب حتى أمسوا ورجعوا إلى أبيهم عشاء يبكون، متعللين بأنهم غفلوا عنه فأكله الذئب. وفي اليوم التالي تسارعوا في الذهاب إلى الجب ليروا ما حلّ بيوسف ﷺ، فلمّا انتهوا إلى الجب وجدوا عنده سيارة، وقد أرسلوا واردهم فأدلى دلوه. فلما جذب دلوه، إذا هو بغلام متعلق بدلوه، فقال لأصحابه يا بشرى هذا غلام. فلما أخرجوه أقبل إليهم أخوة يوسف فقالوا هذا عبدنا سقط منا أمس في هذا الجب، وجئنا اليوم لنخرجه فانتزعوه من أيديهم وتنحوا به ناحية، فقالوا: إما أنْ تقرّ لنا أنّك عبد لنا فنبيعك على بعض هذه السيارة، أو نقتلك؟ فقال لهم يوسف لا تقتلوني واصنعوا ما شئتم، فأقبلوا به إلى السيارة، فقالوا: أمنكم من يشتري منا هذا العبد؟ فاشتراه رجل منهم بعشرين درهما، وكان أخوته فيه من الزاهدين. وسار به الذي اشتراه من البدو حتى أدخله مصر فباعه الذي اشتراه من البدو إلى ملك مصر، وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾. وكان يوسف ﷺ من أجمل أهل زمانه، فلما راهق يوسف ﷺ راودته امرأة العزيز عن نفسه فقال لها: معاذ الله إنّا من أهل بيت لا يزنون. فغلقت الأبواب عليها وعليه، وقالت لا تخف وألقت نفسها عليه فأفلت منها هارباً إلى الباب ففتحه فلحقته فجذبت قميصه من خلفه، فأخرجته منه فأفلت يوسف ﷺ منها في ثيابه. وألفيا سيدها لدى الباب، قالت: ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أنْ يسجن أو عذاب أليم. قال فهمّ العزيز بيوسف ليعذبه فقال له يوسف ﷺ: وإله يعقوب: ما أردت بأهلك سوءاً، بل هي راودتني عن نفسي، فسل هذا الصبي أيّنا راود صاحبه عن نفسه؟ قال: وكان عندها من أهلها صبي زائر لها، فأنطق الله الصبي لفصل القضاء، فقال: أيها العزيز انظر إلى قميص يوسف فإنْ كان مقدوداً من قدّامه فهو الذي راودها، وإنْ كان مقدوداً من خلفه فهي التي راودته. فلما سمع العزيز كلام الصبي وما اقتص أفزعه ذلك فزعاً شديداً. فجيء بالقميص فنظر إليه فلما رآه مقدوداً من خلفه، قال لها: إنه من كيدكنّ، وقال ليوسف أعرض عن هذا ولا يسمعه منك أحد واكتمه، إلاّ أنّ أمره أذيع في المدينة حتى قلنَ نسوة منها امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه، فبلغها ذلك فأرسلت إليهن وهيئت لهنَّ طعامًا ومجلسًا، ثم أتتهن بأترج، وآتت كل واحدة منهن سكيناً، ثم قالت ليوسف: اخرج عليهن، فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن ما قلن، فقالت لهن: هذا الذي لمتنني فيه يعني في حبه. وخرجت النسوة من عندها، فأرسلت كل واحدة منهن إلى يوسف سرّا من صاحبتها تسأله الزيارة فأبى عليهن، فناجى الله تعالى بالدعاء قائلاً: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، فصرف الله عنه كيدهنّ. فلما شاع أمر يوسف وأمر امرأة العزيز والنسوة في مصر، بدا للعزيز بعد ما سمع قول الصبي أن يسجن يوسف، وكان يوسف ﷺ دعا ربه أنَّ السجن أحب إليه من الاستجابة لطلب النساء، فسجنه[1]. ثم إنَّ يوسف ﷺ تزوجها بعد أنْ مكّنه الله تعالى في الأرض، وقيل: إنَّ امرأة العزيز لما أصابتها الحاجة قيل لها: لو أتيت يوسف ﷺ، فشاورت في ذلك، فقيل لها: إنا نخافه عليك. قالت: كلا إني لا أخاف من يخاف الله، فلما دخلت عليه فرأته في ملكه، قالت: الحمد لله الذي جعل العبيد ملوكاً بطاعته، وجعل الملوك عبيداً بمعصيته، فتزوجها فوجدها بكراً، فقال: أليس هذا أحسن، أليس هذا أجمل؟ فقالت: إني كنت بليت منك بأربع خصال: كنت أجمل أهل زماني، وكنت أجمل أهل زمانك، وكنت بكراً، وكان زوجي عنيناً[2].

١- ينظر علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ص٥٠.
٢- ينظر الأمالي، الشيخ الطوسي، ص٤٥٦.

صفات الحروف

في العملية النطقية

-القسم الأول-

يختلف تعريف الحرف وحقيقته وعدد حروفه من علم إلى آخر، فالحرف خطاً هو العلامة المرسومة الدالة على لفظ الحرف المنطوق، وهو من مباحث علم الرسم، أما لفظاً فهو رمز مجرد لا يدل إلا على نفسه ما دام مستقلاً لا يتصل بحرف آخر، فإذا اتصل بحرف أو أكثر نشأ من هذا الاتصال ما يسمى "الكلمة" وهو من مباحث علوم النحو والصرف والتجويد.

وكما أنَّ الحرف يستخدم للتعبير عن الرمز المكتوب فأنَّ مصطلح الحرف له دلالة صوتية.

فكُلُّ حرف من حروف الكلمة القرآنية على نظام وترتيب بديع، يعجز الخلق عن الإتيان بمثله، والقرآن معجز بنظم ألفاظه وأصوات الحروف المكونة لمفرداته، وصفاتها من حيث الهمس والجهر والشدة والرخاوة و.... وما اشتملته تلك المفردات من المعاني المنسقة مع تلك الأصوات والنغمات.

معنى الحرف عند أهل التجويد

الحرف كما يقول الملا علي القاري: (صوت معتمد على مقطع محقق وهو أنْ يكون اعتماده على جزء معين من أجزاء الحلق واللسان والشفة، أو مقطع مقدر وهو هواء الفم إذ الألف لا معتمد له في شيء من أجزاء الفم بحيث إنه ينقطع في ذلك الجزء ولذا يقبل الزيادة والنقصان[1].

١- المنح الفكرية في شرح المقدمة، ص٨.

عبد الكريم الأنصاري

الصفات عند علماء التجويد

أما الصفة فقد عرفها طاش كبرى زادة بقوله: (وصفة الحروف كيفية عارضة للحرف عند حصوله في المخرج، وتتميز بذلك الحروف المتحدة بعضها عن بعض)[٢]. وهذا التعريف للصفة ينسجم مع وجهة الدرس الصوتي الحديث، فالصوت ينتج عن عملية مركبة في الغالب من تدخُّل بعض أعضاء آلة النطق في تيار النَّفسَ في نقطة معينة هي التي تسمى (المخرج)، وهذه هي العملية الأساسية في إنتاج الصوت، وهناك عمليات أخرى مصاحبة تحدث في بعض أعضاء النطق، كعملية اهتزاز الوترين الصوتيين التي تسمى (الجهر)[٣]. فهذه العمليات المصاحبة لما يحصل في الصوت في المخرج هي تسمى (بالصفات).

فصفات الحروف إذاً هي كيفيات مصاحبة لتكوِّن الحروف في المخرج، سواء كانت تبين كيفية مرور الهواء في نقطة المخرج أم توضح عملية نطقية ثانوية تشكل جزءاً مهماً في تكوين الصوت وتميزه عن غيره، (ولم يريدوا بالصفة معنى النعت كما أراد النحويون، مثل اسم الفاعل واسم المفعول، أو ما يرجع إليهما من طريق المعنى نحو مثل وشبه)[٤].

٢- شرح المقدمة الجزرية ، ص١١.

٣- أحمد مختار عمر دراسة الصوت اللغوي، ص١٠٢-١٠٧.

٤- شرح المقدمة الجزرية طاش كبرى زادة، ص١٠-١١.

ألقاب الحروف حسب مخارجها

وليست جميع تلك الصفات والألقاب تمثل كيفيات نطقية تصاحب تكون الأصوات في مخارجها. فمن تلك الألقاب ما يشير إلى مخرج الحرف، مثل الألقاب التي لقب الخليل بها الحروف وهي: الحلقية واللهوية والشجرية والأسلية والنطعية واللثوية والذلقية والشفوية والجوفية والهوائية.

أوجه الصفات عند علماء التجويد

إنَّ الصفات التي تحدث عنها علماء التجويد فيها اتجاهان أرساهما اثنان من كبار علماء التجويد من الرواد الأوائل الذين عاشوا في القرن الخامس، وهما مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) وأبو عمر الداني (ت٤٤٤هـ).

أما مكي بن أبي طالب فقد وصل بصفات الحروف وألقابها إلى ٤٤ لقباً، حيث قال: (لم أزل أتتبع ألقاب الحروف التسعة والعشرين وصفاتها وعللها حتى وجدت من ذلك (٤٤) لقباً صفاتاً لها، وصفت بذلك على معانٍ وعللٍ ظاهرة)[٥].

وأما أبو عمر الداني فإنه اقتصر من صفات الحروف على (١٦) صفة وذلك حيث قال: (اعلموا أنَّ أصناف هذه الحروف التي تتميز بها بعد خروجها من مواضعها التي بيناها (١٦) صنفاً: المهموسة، والمجهورة، والشديدة، والرخوة، والمطبقة، والمنفتحة، والمستعلية، والمستفلة، وحروف المد واللين، وحروف الصفير، والمتفشي، والمستطيل، والمتكرر، والمنحرف، والهاوي، وحرفاً الغنة)[٦].

٥- الرعاية، ص٩١.

فوائد صفات الحروف

نقل أبو الفتوح الوفائي كلام المرادي في تقسيم الصفات إلى مميزة ومحسنة، ولكنه أضاف بعض الأفكار الجديدة حيث قال: (الصفات جمع صفة، وهو لفظ يدل على معنى في موصوفه، إما باعتبار محله أو باعتبار ذاته. فالأول الحلقية واللثوية وشبه ذلك. والثاني كالجهر والهمس، ولهذه الصفات فائدتان:

الأولى: تتميز الحروف المشتركة في المخرج، بأنَّ المخرج بالحرف كالميزان تعرف به كميته، والصفة له كالناقد يعرف بها كيفيته، ولو لا ذلك لكان الكلام بمنزلة أصوات البهائم التي لها مخرج واحد وصفة واحدة ولا تفهم.

والثانية: تحسين لفظ الحروف المختلفة المخارج، فقد اتضح لك بها أنَّ صفات الحروف اسمان مميز ومحسن[٧].

نظرية تقسيم الصفات

تكاد نظرية تقسيم صفات الحروف إلى مميزة ومحسنة تكون أفضل ما أتى به دارسو الأصوات العربية المتقدمون في مجال تصنيف صفات الحروف؛ لأن هذه النظرية تبنى على إدراك عميق لخصائص الأصوات وصفاتها والعلاقة بها.

٦- التحديد، ص١٧.

٧- الجواهر المضيئة، ص٢٥-٢٦.

افتتاح مركز الجوادين للوثائق الكاظمية

ضمن الاستعدادات لتهيئة مكتبة العتبة الكاظمية المقدسة تم افتتاح مركز الجوادين للوثائق الكاظمية ضمنها، ولهذا تهيب الأمانة العامة للعتبة المقدسة بالمهتمين بالشأن الكاظمي والأسر الكاظمية الكريمة التعاون معها بتقديم ما لديهم من وثائق (أصلاً أو صورة) خاصة بالعتبة المقدسة والمدينة المقدسة وأعلامها في مختلف مجالات المعرفة، وتشمل تلك الوثائق مثلاً الكتب والمخطوطات والصور والرسائل والعقود والأختام والطوابع والخرائط والأفلام والتسجيلات الصوتية (بكرة، كاسيت، قرص مدمج) و ...الخ، مع الشكر والامتنان سلفاً.

يكون التواصل من خلال:

Info@aljawadain.org

www.facebook.com/Aljawadain.iq

أو المراسلة عبر تطبيقات (تليغرام أو واتساب أو فايبر)
على الرقم الآتي:

+٩٦٤٧٧٣٥٧٨٥٩٧٠